نمـــاذج من الأزواج
رشـــح النبـــى ﷺ أحـــدهم !

فى الحديث الشريف عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة ، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً !

قالت الأولى :

زوجى لحم جملٍ غَثٌّ ، على رأس جَبل وَعْر ، لا سهل فيُرْتَقى ولا سمين فينتقل .[1]

وقالت الثانية :

زوجى لا أبُثُّ خبَره ، إنى أخاف أن لا أذَرَه ، إن أذكره أذكر عُجَرَه [2] وبجَره

وقالت الثالثة :

زوجى العَشنَّق [3] ، إن أنطلق أُطَلَّق ، وإن أسكت أُعَلّق[4] .

أما الرابعة فقد قالت :

زوجى كليل تهامة ، لا حَرّ ولا قَرّ[5] ، ولا مخافةَ ولا سآمة .

---

(١) لا سهل : تعنى الجبل ، ولا سمين : تعنى اللحم . وغث : أى مهزول . وصفت زوجها بالبخل ، وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره ، مع قلته ـ كاللحم الهزيل ـ فكيف إذا كان فى رأس جبل .

(٢) تقصد أن زوجها معيب ظاهراً وباطناً فالعُجَر العروق النابتة من الجسد مثل دوالى الساقين ، والبُجَر النُّتوء فى البطن ولذا يقال للرجل أبجر إذا كان ناتئ السرة عظيمها .

(٣) الطويل المذموم السَّيِّء الخلق الأحمق .

(٤) أى تركنى معلقة لا عزباء ولا متزوجة .

(٥) القر : البرد .

وقالت الخامسة :

زوجى إن دخل فَهِد [1] ، وإن خرج أُسِد ، ولا يسأل عما عَهِد [2] .

وقالت السادسة :

زوجى إن أكل لَفَّ [3] ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ؛ ليعلم [4] ، البث

وقالت السابعة :

زوجى : عياياء أو غياياء ، طباقاء كل داءٍ له داء ، شجِّكِ أو فَلِّكِ ، أو جمع كُلاًّ لك [5] .

وقالت الثامنة :

زوجى : الريح ريح زَرنب ، والمسّ مسّ أرنب [6]

وقالت التاسعة :

زوجى : رفيع العِماد ، طويل النِّجاد ، عظيم الرّماد ، قريب البيت من الناد [7]

---

(١) تقصد أنه ينام كالفهد كثيراً ، أو يثب لضربى ، أو لوقاعى بلا ملاعبة .

(٢) أى لا يسأل عما كان يعرفه فى البيت من ماله ومتاعه .

(٣) (لف) أى يؤثر الأكل . اشتف شرب مافى الإناء . التف : تلفف فى ثوبه واعتزل عن المضاجعة ولا يهتم فى المباضعة.

(٤) ولا يولج الكف : أى لا يدخل كفه بين ثوبى وجلدى . ليعلم البث : أى حزنى الذى عندى.

(٥) العياياء . العاجز عن مباضعة النساء ، وهو الذى لا يلقح . والغياياء : من الغىّ الذى هو الخيبة تعنى أنه لا يهتدى إلى مسلك أو هو ثقيل الروح طباقاء : المطبقة عليه أموره حمقا فلا يهتدى لها . وجميع امراض الناس مجتمعة فيه ، وهو إما أن يجرحها أو يكسر عظامها أو يجمع بين الاثنين .

(٦) زوجها طيب الريح ناعم الملمس . والزرنب نوع من الطيب أو شجر طيب الرائحة .

(٧) زوجها متميز على الآخرين فبيته عال يراه الضيفان ـ وهو طويل القامة ـ كريم ـ مشهور بين ذوى الرأى فى قومه ويستفاد بماله .

وقالت العاشرة :

زوجى : مالك وما مالك[1] ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، إذا سمِعْن صوتَ المِزهَر ، أيقنّ أنهنّ هَوالِك .

وقالت الحادية عشرة :

زوجى أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ ، أناسَ من حُلِىٍّ أُذُنَىَّ ، وملأ من شحم عَضُدَىّ ، وبَجَّحَنى[2] فبجحَت إلىَّ نفسى !

وجدنى فى أهل غنيمة بشِق [3] فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ، ودائس ومُنَقٍّ [4] ، فعنده أقول فلا أُقبَّحُ وأرقد فأتصبَّح ، وأشربُ فأتقَنَّح .

أم أبى زرع ، فما أم أبى زرع ؟
عكومُها رَدَاح [5] ، وبيتها فساح [6] ؟

ابن أبى زرع ، فما ابن أبى زرع ؟
مضجعهُ كمسَلّ شطبة [7] ، ويشبعه ذراع الجفرة [8] ، .

بنت أبى زرع ، فما بنت أبى زرع ؟

---

(١) زوجها مالك له إبل كثيرة تنتظر الضيفان الذين يستقبلون بالأغانى وتعرف الإبل أنها منحورة عندما تسمع وترى مراسم استقبال الضيوف .

(٢) فرّحنى ففرحت ، أو عظّمنى فعظمت نفسى فى عينى .

(٣) كانت تعيش فى ضيق وشظف عيش

(٤) تقصد بالصهيل : الخيل ، وبالأطيط : الجمال تحمل أثقالا والدائس : الدواب تدرس الحصاد ، والمنقى : الذى ينقى الطعام ويستخرجه من تبنه وقشوره والمعنى أنه نقلها من شدة عيش إلى ثروة واسعة وخير عميم .

(٥) رداح : عظيمة ممتلئة بالخير وعكومها : أى أوعية طعامها وأمتعتها واسعة .. كناية عن كثرة الخير .

(٦) فساح : واسع .

(٧) الشطبة : ماشق من جريد النخل . والمعنى أن جنبه الذى هومَحَلّ اضطجاعه كجريدة دقيقة ، فهو خفيف اللحم دقيق الخصر كشطبة مسلولة من قشرها ، كما يفعل صانع الأقفاص فيشطر الجريدة عيداناً دقيقة كل عود هو شطبة مسلولة من قشرها

(٨) الجفرة : الأنثى من ولد المعز .

طوع أبيها ، وطوع أمها ، وملء كسائها[1] ، وغيظ جاراتها[2] !

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟

لا تُبثّ حديثنا تبثيثا ، ولا تنفث[3] ميرتنا تنفيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا[4] .

ثم قالت :

خرج أبو زرع والأوطاب[5] ، تمخض ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين[6] ، فطلقنى ونكحها .

فنكحت بعده رجلاً سرياً[7] ، ركب شرياً[8] ، وأخذ خَطِّيّاً[9] ، وأراح على نعما ثرياً[10] ، وأعطانى من كل رائحة[11] زوجاً ، وقال كلى يا أم زرع وميرى أهلك[12] فلو جمعت كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع ! .

قالت عائشة : قال لى رسول ﷺ : كنت لك كأبى زرع لأم زرع !

[أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ٣/٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع حديث رقم ٩٢]

* بداية موفقة

قال ابن سيرين : تزوجت امرأةً من بنى تميم ، فلما كانت ليلة البناء[13] بها دخلت عليها ؛ فإذا هى فى انتظارى على باب خِدْرها[14] ...

فمددت يدى إليها فقالت :

---

(١) كناية عن امتلاء جسمها .
(٢) تقصد ضرتها.
(٣) هى أمينة على الطعام وحفظه.
(٤) تعنى نظافة البيت ولاتترك الهوام تعشش فيه .
(٥) هى زقاق اللبن . واحدها وطب . وتمخض : أى يؤخذ زبدها .
(٦) تقصد أن لها تدين حسنين صغيرين كالرمانتين.
(٧) أى سيراً شريفاً .
(٨) اى فرساً قوياً يستشرى فى العدو .
(٩) الخطى : هو الرمح .
(١٠) أى إبلاً كثيرة .
(١١) أى أعطانى من كل شىء يأتيه من أصناف المال وقت الرواح من الإبل والبقر والعبيد .
(١٢) ميرى أهلك : أى بريهم وقدمى لهم الميرة والطعام وفى القرآن : ﴿ونمِيرُ هلنا﴾ .
(١٣) البناء بها : الدخول والزواج .
(١٤) الخِدْر : السِّتر ،والمأوى .

على رِسْلِك [1] !

فحَمِدَت الله وأثْنَت عليه ، ثم قالت : إن الله يضَع العِلْمَ حيث يشاء .. ؛ وأنه بلغنى أن الرّجُلَ يؤمَر إذا دخَلَ على أهله أن يُصَلِّىَ ركعتين ، وأن تُصَلِّىَ امرأتهُ معه !

فإذا فرغ قال :

اللهّم بارك لى فى أهلى ، وبارك لأهلى فِىَّ .. اللهم ارزقنى ارزقنى ألْفَتَهم ومودّتَهُم ، وارزقْهم ألْفتِى ومودتى !! وحبّب بعضَنا إلى بعض .

فقمت ، ففعلت ، فلما فرغت أهويت بيدى إليها ، فقالت : على رِسْلِك ..

إن الرجل يُؤْمَر إذا أراد غِشيان [2] أهْلِه أن يقول اللّهُمّ جنبنا الشيطانَ ، ولا تجعل له بيننا نصيباً .. فقلت ذلك فلم أزل أعرف الخير والبركة [3]

* أى الأزواج أنت ؟!

قالت أبو اليقظان :

خطب « عمرُ بنُ الخطّاب » أُمَّ أَبَان بنت عتبة بن ربيعة بعد أن مات عنها زوجُها يزيد بن أبى سفيان ، فقالت :

لا يدْخُل إلا عابساً ..

ولا يخرجُ إلا عابساً ..

يُغْلِقُ أبوابه !

ويُقِلّ خيرَه !

ثم خطبها « الزُّبَيْر » فقالت :

يَدٌ على قُرونى ، ويد له فى السّوط . وخطبها « علىّ » فقالت :

---

(١) على رسلك : مَهْلاً .

(٢) غشيان أهله : جماع زوجته .

(٣) فعشت حياتى فى خير وبركة بفضل تلك البداية الطيبة .

ليس للنساء منه حظّ إلا أن يقعد بين شُعَبِهِنّ الأربع ، لا يُصِبنْ منه غيره !

وخطبها « طلحة » فأجابت ، فتزوجها .. ودخل عليها على بن أبى طالب فقال لها : رددت من رددت منا وتزوجت ابن الحضرميّ ؟!

فقالت : القضاء والقدر ؛

فقال : أما إنك تزوجت أجملنا مرآة ..

وأجودنا كفًّا ..

وأكثرنا خيراً على أهله ..

* لِمَ خلقت المرأة ؟!

كان خالد بن الوليد بن معاوية زوجاً لبَرْمَكَة بنت الزبير أختْ عبد الله بن الزبير .

وذات يوم راح خالد يصف عبد الله بالبخل وبرمكة جالسة ، فأطرقت ولم تتكلم بكلمة !

فقال لها زوجُها خالد :

مالك لا تتكلمين ؟!

أراضيةٌ أنتِ بما قُلتهُ ، أم تُنَزّهين نفسك عن جوابى [1] ؟ فقالت لا هذا ، ولا ذاك ، ولكن المرأةَ لم تُخلق للدخول بين الرجال ؛ إنما نحن رياحينُ للشَّمِّ والضَّمِّ فما لنا وللدخول بينكم ؟!

فأعجبه قولُها ، وقام إليها ، وقبَّل ما بين عينيها !

* وافدة النساء !

وفدت أسماء بنت يزيد الأنصارية ، والتى لقبت بخطيبة نساء العرب ، ووافدتهن إلى رسول ﷺ وهو بين أصحابه ، فقالت :

---

(١) تنزهين : تُبعِدين وترفعين عن الدخول فى مثل تلك الموضوعات .

بأبى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك .

إن الله عز وجل ، بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، قد آمنا بك وبإلهك .

إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم ـ معشر الرجال ـ فضّلتم علينا بالجُمع والجماعات ، وشهود الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجلَّ ، وإن أحدكم إذا خرج حاجًّا أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أولادكم وأموالكم ، وغسلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنشارككم فى هذا الأجر والخير ؟!

فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مسألة [1] امرأة قط ، أحسن من مسألتها فى أمر دينها ؟

فقالوا : يا رسولَ الله !

ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ؟!

فالتفت النبى ﷺ إليها فقال :

«افهمى أيتها المرأة ، وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعُّل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله» [2]

* المتكلمة بالقرآن !

قال عبد الله بن المبارك :

خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام .

فبينما أنا فى بعض الطريق إذا بسواد ، فتميزت ذلك السواد ، فإذا هى عجوز عليها درع من صوف ، وخمار من صوف !

فقلت : السلام عليك ورحمة الله ! فقالت : ﴿**سلامٌ قولًا من ربٍّ رحيم**﴾ [آية ٥٨/ يس]

---

(١) مسألة : سؤالَ .

(٢) حسن تبعل المرأة لزوجها : قيامها بواجب الزوجية . أشار إليه ابن الأثير فى مادة «بعل» بقوله : ومنه حديث أسماء الأشهلية «إذا أحسنتن تبَعُّلَ أزواجكن» .

فقلت : يرحمك الله ما تصنعين فى هذا المكان ؟! فقالت :﴿ من يُضْلِلِ الله فلا هادىَ له﴾

[آية ١٨٦/الأعراف]

فعلمت أنها ضالة عن الطريق !

فقلت لها : أين تريدين ؟

فقالت :﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**﴾

[١/ الإسراء]

فعلمت أنها قد قضت حجها ، وهى تريد زيارة بيت المقدس . فقلت : مُذْكَمْ فى هذا الموضع ؟

قالت :﴿**ثلاث ليالٍ سويا**﴾ (١٠/ مريم]

قلت : ما أرى معك طعاماً تأكلينه ؟!

قالت :﴿**والذى هو يُطعمنى ويسقين**﴾

[٧٩/الشعراء]

فقلت : بأى شىء تتوضئين ؟

قالت :﴿**فإن لم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيّباً**﴾

[٤٣/النساء]

فقلت لها : إن معى طعاماً فهل لك فى الأكل ؟

قالت :﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾

[١٨٧/البقرة]

فقلت لها : ليس هذا شهر رمضان !

قالت :﴿**ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم**﴾

[١٥٨/البقرة]

فقلت لها : قد أُبيح الإفطار فى السفر . قالت :﴿**وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾

[١٨٤/ البقرة]

فقلت لها : لم لا تكلمينني بمثل ما أكلمك ؟!
قالت :﴿**ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد**﴾

[١٨/ق]

فقلت لها : من أى الناس أنت ؟
قالت :﴿**ولا تقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾

[٣٦/الإسراء]

فقلت لها : قد أخطأت فاجعلينى فى حِلٍّ !
قالت :﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم**﴾

[٩٢/يوسف]

فقلت لها : فهل لك أن أحملك على ناقتى هذه فتدركى القافلة ؟!
قالت :﴿**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**﴾

[١٩٧/البقرة]

قال : فلما أَنَخْتُ ناقتى قالت :﴿**قل للمؤمنين يَغضُّوا من أبصارهم**﴾

[٣٠/النور]

فغضَضْتُ بصرى عنها وقلت لها : اركبى ، فلما أرادت أن تركب فرت الناقة فمزقت ثيابَها !!

فقالت :﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾

[٣٠/الشورى]

قلت لها : اصبرى حتى أعقلها !

قالت :﴿**ففهمناها سليمان**﴾

[٧٩/الأنبياء]

فلما ركبت قالت :﴿**سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾

[١٤/الزخرف]

قال : فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسرع وأصيح . فقالت﴿**واقصد فى مشيك واغضض من صوتك**﴾

[١٩/لقمان]

فجعلت أمشى رويداً رويداً ، وأترنم بالشعر ، فقالت :﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾

[٢٠/المزمل]

فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ! قالت :﴿**وما يذّكر إلا أولو الألباب**﴾

[٢٦٩/البقرة]

فلما مشيت قليلاً ، قلت لها : ألك زوج ؟

قالت :﴿**يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾

[١٠١/المائدة]

قال : فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة . فقلت لها : هذه القافلة ، فمن لك فيها ؟ قالت :﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾

[٤٦/الكهف]

فعلمت أن لها أولاداً ، فقلت : وما شأنهم فى الحج ؟

قالت :﴿**وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون**﴾

[١٦/النحل]

فعلمت أنهم أدلاء الركب ، فقصدت بها القباب والعمارات ، فقلت : هذه القباب ، فمن لك فيها ؟

قالت : ١ ـ﴿واتخذ الله إبراهيمَ خليلا﴾

[١٢٥/النساء]

٢ ـ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

[١٦٤/النساء]

٣ ـ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾

[١٢/مريم]

فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ! فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار ، قد أقبلوا ، فلما استقر بهم الجلوس قالت :﴿**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه**﴾ .

[١٩/الكهف]

فمضى أحدهم ، فاشترى طعاماً فقدموه بين يدىّ ، فقالت :﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية**﴾

[٢٤/الحاقة]

فقلت : لن أذوق لكم طعاماً حتى تخبرونى بأمرها !!

فقالوا : هذه أمناً ؛ لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تَزِلّ ، فيسخط عليها الرحمن !

فقلت :﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ .

[٤/الجمعة]

* أين تريدين ؟

حكى ذو النون المِصرى أنه رأى امرأة فى بعض سواحل الشام .

فقال لها :

من أين أقبلت رحمك الله ؟!

قالت : من عند أقوام :﴿تَتَجافَى جنوبُهم عَنِ المضَاجع يدعون رَبَّهم خوفاً وطمعاً﴾

[الآية ١٦/السجدة]

فقال لها : وأين تريدين ؟

قالت : هناك ..﴿رجال لا تُلْهِيهِم تجارَة ولا بيع عن ذِكر الله وإقام الصلاة﴾

[الآية ٣٧/ النور]

* نساء ورجال !

نزل رجل ضيفاً على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى إحدى زوجاته : هل عندك طعام ؟

فقالت : والذى بعثك بالحق ، ما عندى إلا ماء ! ثم أرسل إلى سائرهن ، فقلن جميعا : والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء ! ثم قال لأصحابه : من يستضيف هذا الرجل ؟ فقام رجل من الأنصار وقال :

أنا أضيفه يارسول الله ، فأخذ بيده إلى داره ، وقال لزوجته : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

فقالت : وهل عندنا إلا ما يكفى أولادنا ! فقال لها : أنيميهم ؛ فإذا أعددت الطعام فأطفئى السراج ، ثم وضع الطعام أمام الرجل ، فجعل يأكل حتى شبع ، وبات الأنصارى وزوجته طاووين [1] .

ولما أصبح الصباح . قال له رسول الله ﷺ .

لقد عجب الله من صنيعك ! فأنزل قوله تعالى :﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفُسِهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾

[رواه البخارى ومسلم والنسائى] [الحشر/٩]

(١) يطويان بطنهما على الجوع .

* قطـــر النـــدى(*)..!

كانت قطر الندى بنت خُمارويه بن أحمد بن طولون مع جمالها موصوفة بفضل العقل .

. خلا بها الخليفة المعتضد ـ بعد أن زُفّت إليه ـ فى مجلس للأنس لم يحضره غيرها ، فنام على فخذها ، فلما استثقل [1] وضعت رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست فى ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً ، ونادى بها فأجابته على قرب .

فقال : ما هذا ؟!

استخْلَيْتُك إكراماً لَكِ ، ودفعتُ إليك مُهْجتى دون سائر حَظاياى ، فتضعين رأسى على وسادة ؟! فقالت : ياأمير المؤمنين ، ما جهلتُ قدرَ ماأنعمتَ به علىّ ، وأحسنتَ فيه إلىّ !!

ولكن فيما أدّبنى به أبى أن قال لى :

لا تنامى بين الجلوس !

ولا تجلسى بين النوام !

* تجربة عاشها زوج اثنتين(*)

قيل لأعرابى :

من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم ، فأنشأ يقول :

تَزَوّجْتُ اثنـــتين لفَـــرْطِ جَهْلِى ... بما يَشْقَـــى به زوج اثنتيْـــــنِ

فقلت أصِيرُ بينهما خروفـــاً ... أُنَعَّـــمُ بيـــنَ أكْـــرَمِ نعجتين

(*) زهر الآداب .

(1) استثقل : استغرق فى النوم وثقل على فخذها .

(*) الأمالى لأبى على القالى .

فَصِرْتُ كنَعْجةٍ تُضْحِى وتُمسِى ... تُدَاوَلُ بين أخْبَثِ ذئبتين [1]
رِضَا هَذِى يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِى ... فما أعْرَى مِنِ احْدَى السُّخطتين [2]
وأَلْقَى فى المعيشةِ كل ضُرٍّ ... كَذَاكَ الضُّرّ بين الضرّتين
لِهذِى لَيْلةٌ ولتلك أُخرى ... عتاب دائم فى الليلتين

* متى تجتمع لرجل لذة [*]

قال الحجاج يوماً وعنده أصحابه : أما إنه لا يجتمع لرجل لذة حتى تجتمع أربع حرائر فى منزله ، يتزوجهن !

فسمع ذلك شاعر من أصحابه يقال له:الضحاك ، فعمدَ إلى كل ما يملك فباعه ، وتزوج أربع نسوة ، فلم توافقه أى واحدة منهن ، فأقبل إلى الحَجّاج فقال : سمعتك ـ أصلحك الله ـ تقول :

لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوجَ أربع حرائر ، فعمدت إلى قليلى وكثيرى فبعته ، وتزوجت أربعاً ، فلم توافقنى أى واحدة منهن !

أما واحدة منهن فلا تعرف الله ، ولا تصلى ولا تصوم !

والثانية : حمقاء لا تتمالك .

والثالثة : مُذَكِّرَة متبرجة [3] .

والرابعة : وَرْهاء لا تعرف ضرها من نفعها [4] .

وقد قلت فيهن شعرا .

قال : هاتِ ما قلت ، لله أبوك ! ، فقال :

تزوّجْتُ أبغى قُرَّةَ العين أربعاً ... فياليتنى والله لم أتزوّج

(١) يتداولها ويتقاسمها .
(٢) ما أعرى : ما أسلم .
(*) ذيل الأمالى .
(٣) مذكرة : تشبه الرجال وتبدى زينتها .
(٤) الوزهاء : الخرقاء . وكثيرة الشحم . والحمقاء .

ويا ليتني أعمى أصمّ ولم أكُنْ ... تزوجْتُ بل يا ليتني عُنْتُ مُخْدجَ[1]
فواحدة لا تعرف الله ربَّهَا ... ولا نَذْرِ ما التقوى ولا ما التحَرّج
وثانية حمقاء تزنى مخانةً ... تُواثب من مَرّت به لا تعَرّج
وثالثة ما إن تُوَارَى بثوبها ... مذكّرة مَشْهورة بالتبرّج
ورابعة ورهاء فى كل أمرها ... مُفَرّكَةٌ هوجاء من نسْلِ أهوج
فهُنّ طَلَاقٌ كُلُّهُنّ بوائنٌ ... ثلاثا بتاتاً فاشهدوا لا أُلَجْلِج

فضحك الحجاج وقال :

ويلك كم مَهَرْتَهُنّ ؟

قال : أربعة آلاف أيها الأمير !

فأمر له باثنى عشرة ألف درهم .

* فَطَانة وكِياسة

حكى أن أعرابياً كان له أربع نسوة ، فأراد يوماً أن يختبر عقولَهن ..

فبدأ بالصغرى ، وقال لها :

إذا كان الصبح فأيقظينى . فلما دنا الصبح قالت : قد دنا الصبح !

قال : وما يدريك ؟

قالت : غارت صغارُ النجوم ، وبقى أحسنها ، وأضوؤها ، وأكبرها .

وبرد الحُلِىّ على جسدى ، واستلذذت باستنشاق النسيم !

فقال لها : إن فى ذلك دليلا .

وفى الليلة الثانية : قال للتى تليها مثل مقالته للأولى ، فلما دنا الصبح ، أيقظته ، فقال لها :

وما يدريك ؟

قالت : ضحكت السماءُ من جوانبها !

(١) أخدج : ناقص .

ولم تبق نابتة إلا فاحت روائحُها !

وعينى تطالبنى بإغفاءة الصباح !

فقال : إن فى ذلك دليلاً .

وفى الليلة الثالثة : قال للتى تليها مثل ذلك ؛ فلما دنا الصبح أيقظته ، فقال لها : وما يدريك ؟

فقالت : لم يبق طائر إلا غرّد !

ولا ملبوس إلا برد !

وقد صار للطرف فى الليل مجال . وليس ذلك إلا من دنوّ الصباح . فقال : إن فى ذلك دليلا ، وأثنى عليهن جميعاً !

وفى الليلة التالية : قال للرابعة مثل ما قال لهن . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم فقَدْ دَنَا الصبح !

فقال لها : وما يدريك ؟

قالت : أبت نفسى النوم ، وطالبنى فمى بالسواك ، واحتجت إلى الوضوء !

فقال لها : أنت أقبحهن وصفاً!! وسَرّحَها سراحاً جميلا !

وقد تقول : إنها ذات دين .. !! ولكنها لم تحسن الكلام ولم تراع الجانب النفسى والجمالى !!

* ولُبْسُ عَباءةٍ وتَقَرّ عينى ..!

نشأت « ميسون أم يزيد [1] بنت بَحْدَل بن أنيف الكلبى » فى حجر أبويها بصحارَى نجد [2] ، وشبت على الجمال الرائق ، والأدب الفائق ، واشتهرت بهما

---

(١) يزيد هو أبو خالد بن معاوية ولد سنة ٢٦ هـ ببادية نجد عند جده لأمه ، فنشأ هناك ، وتفصح ، ونظم الشعر ، ولما كبر استدعاه أبوه ، ودرّبه على أمور المملكة وفنون السياسة ، ثم لما مات أبوه أخذ هو بزمام الخلافة ، وكان كثير الميل إلى اللهو غير أهل للخلافة . مات سنة ٦٤ هـ .

(٢) نجد : إقليم يشغل جميع الجزء الأوسط من شبه الجزيرة العربية .

حتى بلغ أمرها «معاوية بن أبى سفيان» ، فخطبها من أهلها ، وتزوجها .

ثم أتى بها دمشق ، وأحلّها قصراً فخماً ، واستحضر لها من الثياب الفاخرة الحريرية ، وغيرها مالم يخطر ببالها ، وهى بين شائها [1] ، وجِمالها .

واستجلب لها أَمْهَرَ الطُّهَاةِ [2] ، من الروم ، والفرس ، لطبخ ما تشتهيه من ألذ الأطعمة .

ودعا إليها نساء الوجهاء وبناتهن لمجالستها .

وخصص عددا عظيماً من الجوارى لخدمتها ، وترويح [3] بالها ، وعوضها من كلاب أبيها حُرّاس خبائه قطاطاً لطيفة ، يسرها منظرها ، وأعد لها بَغْلا مُطَهّماً [4] تركبه حسب إرادتها .

وبالجملة ، لم يترك شيئاً مما تطمح إليه العين ، وتطمع فيه النفس إلا جعله ميسوراً لديها ، مقصوراً عليها !

ولكن تلك الإقامة مع ترفها [5] ، ونعيمها لم تُرق فى عينها [6] ؛ فقد أخذت تندب حالها ، وتحن إلى أوطانها ، حنين الإبل إلى أعطانها [7] .

وتذكر أترابها اللائى طالما لاعبتهن فى صحارى نجد ، وسابقتهن حافية على رمالها ، طليقةً كأنها غزالة ثارت من كِناسِ [8] ، أمها .

فكان معاوية يحاول أن يُصبّرها عن ذلك تارة بزيادة اعتنائه بها ، وأخرى بأن يذكر لها حالتها الأولى ، ويقابلها بما صارت إليه من رفع الشأن وسعة السلطان .

---

(١) الشاء : جمع شاه . وهى الغنم .
(٢) الطُّهاة : جمع طاهٍ ، وهو الطباخ .
(٣) التسرية عنها ، وإدخال الفرح والسرور عليها .
(٤) مطهّما : أصيلا .
(٥) ترفها : تنعمها .
(٦) لم تحلُ لها .
(٧) الأعطان جمع عَطَن بفتح الأول والثانى ، وهو مناخ الإبل حول الماء . والجمال لاتزال تحن إلى عطنها ؛ لأنها تستريح فيه بعد رِيِّها .
(٨) كناس الغزالة : مأواها .

حتى إذا جلست ذات يوم فى غرفة من قصرها الواسع ، وقد لبست أجمل حُلَلِها ، وأثمن حِليتها ، وحولها الجوارى والسيدات ، وهى تسرح أنظارها [1] على الغُوطة [2] متأملةً فى تنسيق أشجارها [3] ، متلذِّذةً بتغريد أطيارها ، تذكرت « نجداً » مسقط رأسها ، فتنفست الصُّعَداء [4] .

وارتجلت هذه الأبيات الغرّاء ، تفضل بها حياتها البدوية على جميع ما صارت إليه من الرفاهية الحضرية [5] ، قالت :

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأرواحُ فيه ... أَحَبُّ إلىّ من قصرٍ مُنيفِ [6]
ولُبْسُ عباءةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي ... أحبُّ إلىّ من لُبْسِ الشُّفوف [7]
وأكلُ كُسَيْرَةٍ فى كِسْرِ بيتى ... أحبُّ إلىّ من أكل الرغيف [8]
وأصواتُ الرياحِ بكلِّ فَجٍّ ... أَحَبّ إلىّ من نقْرِ الدُفوفِ [9]
وكلبٌ ينبَحُ الطُّرّاق دُونِي ... أَحَبُّ إلىَّ من قِطٍّ أليفِ [10]
وبكرٍ يتبعُ الأظعانَ صعبٌ ... أَحَبُّ إلىّ من بَعْلٍ زفوفِ [11]
وبَعْلٌ من بنى عَمّى ضعيف ... أَحَبُّ إلىّ من ملك عنيفِ
فما أبغى سوى وطنى بديلا ؛ ... فحسبى ذاك من وطن شريف

واتفق أن معاوية كان على بابها وقت إنشادها هذه الأبيات ؛ ففهم معناها ، وفطن إلى مرماها ، وتأثر منها ، واغتاظ من إنكارها جميله ، فدخل عليها ، وقال

---

(١) تسرح أنظارها : تمدّها .
(٢) الغوطة : إحدى حدائق العالم الجميلة بدمشق .
(٣) تنسيق : تنظيم .
(٤) الصُّعَداء : بضم الصاد والمدّ : تنفس محدود .
(٥) الرفاهية الحضرية : هى سهولة المعيشة التى فى المدن عادة ومافيها من وسائل الحضارة ومظاهرها .
(٦) الأرواح : الرياح . جمع ريح .. الهواء .
(٧) الشفوف : جمع شف . وهو الثوب الرقيق .
(٨) كُسَيْرة : تصغير كِسْرة . وهى القطعة من الخبز ، وكسر البيت : جانب منه .
(٩) الفج : الناحية . والدفوف : جمع دف . آلة الطرب المعروفة مركبة من إطار خشبى على جلد رقيق .
(١٠) الطّراق : جمع طارق ، وهو الآتى ليلا . تريد بهم اللصوص .
(١١) البكر : الفتى من الإبل . والأظعان جمع ظعن ، وهو الجمل تركبه المرأة فهى ظعينة . والزّفوف : الحسن المشى السريعه .

لها : « كُنْتِ فَبِنْتِ »[1] .

فقالت له : « لا والله ما سررنا إذ كُنّا ، ولا أسفنا إذ بنا » فألحقها بقومها .

* أربع ضرائر يصفن أنفسهن[*]

حدث الأصمعى قال :

كان عند أعرابى أربع نسوة :

كندية ، وغسانية ، وشيبانية ، وغنوية ؛ والأعرابى غسانى .

وكُنّ متظاهرات على الغَنَوية ؛ فجمع بينهن ثم قال : لتقل كل واحدة منكن قولاً تصف به نفسها :

فقالت الكندية :

كـأنّى جَنَى النّحلِ والزنجبيـــل ... وصفـوُ المُدَامَةِ والسَّـلسَبيل

يزيـنُ ســنا الوجـهِ لى مَبسـم ... كمثـل اللآلى وعيـن كَحِيـل

وقالت الغسانية :

برانـى إلهٰى إلـه الســما ... نِصفـاً قضيـباً ونِصفـاً كَثيبا

وألبســنى ما يســوء الحســود ... جمـالًا ومِلْحـاً وحسْـناً عجيبا[2]

وقالت الشيبانية :

أفوقُ النساءَ إذا ما اجتمعـ ... ـن كبدر السماء نجومَ الدّجى[3]

ويقصر عنى جميع الصفا ... ت فمن نالنى نال فوق المنى

وقالت الغنوية :

تـزوّد بعينـك من بهجتـى ... فقـد خلـق الله منى الجمـالا

(١) أى كنت زوجةً فأصبحت بائنة أى مطلقة .

(*) بلاغات النساء ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٢) المِلْح : الملاحة . ونصفها الأعلى كعود البان أما الأسفل فهو ككثيب رمل من الكُثبان ضخمة العجيزة .

(٣) أى كما يفوق بدر السماء نجوم الدجى .

* يأيها القاضى ..!!

ذكر الزبير بن بكّار قال :

أتت امرأة إلى عمرَ بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوَه ، وهو يعمل لطاعة الله عز وجلّ !

فقال لها : نِعْمَ الزوجُ زوجُك !

فجعلت تكرر عليه القول ، ويكرر عليها الجواب .

فقال له : كعب الأسدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجَها من مباعدته إياها عن فراشه !؟ فقال عمر : كما فهمت كلامَها فاقضِ بينهما .

فقال كعب : عَلَىّ بزوجها ، فأُتِىَ به ، فقال له : إن امرأتك هذه تشكوك !

قال : أفى طعام أو شراب ؟!

قال : لا .

فقالت المرأة :

يأيها القاضى الحكيمُ رُشدُه ... ألْهى خليلى عن فِراشى مَسْجِدُه
زَهّدَه فى مضجعى تَعَبُّدُه ... فاقضِ القضا كعبٌ ولا تُرَدّدُه
نهارُه وليلهُ ما يرقدُه ... فلست فى أمر النساء أحْمَدُه

فقال زوجها :

زهّدَنى فى فَرْشِها وفى الحجَلْ ... أنى امرؤ أذهلنى ما قَدْ نَزَل [2]
فى سورة النّحل وفى السّبْعِ الطُّوَل ... وفى كتاب الله تخويف جَلَلْ [3]

---

(١) الأحوى : الأسمر الشفتين .

(٢) الحجَل : جمع حَجَلة بيت يزين للعروس . (٣) السبع الطول من البقرة إلى الأعراف ست ، وبعضهم عد الأنفال وبراءة سورة واحدة.ومنهم من قال:يونس هى السابعة .

فقال كعب :

إن لها حَقًّا عليك يارَجُلْ نصيبُها فى أربَع لمن عَقَلْ

فأعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم إن الله عز وجل ، قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام ولياليهن ، تعبد فيهن ربك .

فقال عمر :

والله ماأدرى من أى أمريك أعجب ؟

أمن فهمك أمرهما ؟!

أم من حكمك بينهما ؟ !

اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

* كيف تسودُ قومك؟!

قالت حميدة بنت النعمان لزوجها رَوح بن زِنباع :

كيف تسود قومك وفيك ثلاث خصال :

أنت من جُذام !

وأنت جَبان !

وأنت غَيُور !

فقال : أما جُذام ؛ فأنا من أرومتها !

وحَسْبُ الرجلِ سؤدُدًاأن يكون فى أرومة[1] قومه ! وأما الجُبْنُ ؛ فإن لى نفْساً واحدةً ، ولو كان لى نفسان لجُدتُ بإحداهما !

وأما الغَيْرة ؛ فأمر لاأريد أن أُشَارَك فيه فإن المروءة تتحققُ بالغيرة على المرأة الحمقاء الوَلُودِ مثلكِ ؛ فإنه لا يأمن أن تأتى بولد من غيره تربيه فى حجره !!

---

(١) الأرومة ـ وقد تضم همزتها ـ الأصل .

* أى الزوجين كان أفصح لساناً ؟!

أقبلت يوما على «معاوية» وعنده وجوه قريش ، وأشراف العرب ، ومن بينهم «أبو الأ سود الدؤلى» إمام النحو .

فقالت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

إن الله جعلك خليفةً فى البلاد ، ورقيباً على العباد ، يُسْتَسْقَى بك المطر ، ويُسْتَنْبَتُ بك الشجر [١] ، وتؤلّف بك الأهواء [٢] ، ويأمن الخائف ، ويردع بك الجانف [٣] ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة ، فى غير تغيير ، والعافية من غير تكدير !

لقد ألجأنى إليك ياأميرَ المؤمنين أمرٌ ضاق علىّ فيه المنهج [٤] ، وتفاقم علىّ فيه المخرج [٥] ، لأمر كرهت عارَه ، لما خشيت إظهاره !

فلينصفنى أمير المؤمنين من الخصم ، فإنى بِعَدْلِه من العار الوبيل [٦] ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ذوات البعول الأجائر [٧] .

قال معاوية : ومن بعلُك الذى تصفين من أمره المنكر !

قالت : هو «أبو الأسود الدؤلى» جليسك ياأمير المؤمنين .

فالتفت معاوية إلى أبى الأسود ، وقال له : ماتقول هذه المرأة ؟

فقال : هى تقول من الحق بعضها ، ولن يستطيع أحد عليها نقضاً !

أما ماذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق !

---

(١) أنت مصدر الخير فى المحن والشدائد ، ولاعجب فأنت تتقدمهم فى صلاة الاستسقاء .

(٢) أنت جامعهم ، ومؤلف بين قلوبهم .

(٣) الجانف : الآثم والمعتدى .

(٤) المنهج : الطريق .

(٥) صعب واشتد على الخروج من ذلك الأمر وتلك المشكلة ، وهى تشير إلى ما كان من طلاقها !

(٦) الوبيل : الشنيع والمهلك .

(٧) الأجائر : الظالمين من الجور .

والله ياأميرَ المؤمنين ، ماطلقتها عن ريبةٍ [1] ظهرت ، ولاأى هفوةٍ [2] حضرت ، ولكنى كرهت شمائلها ، فتقطعت عنى حبائلها !

فقال معاوية : وأى شمائلها ياأبا الأسود كرهت ؟

قال : ياأمير المؤمنين !

إنك مُهَيّجُها علىّ بجواب عتيد ، ولسان شديد ! فقال معاوية : لابدّ لك من محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها .

فقال : ياأميرَ المؤمنين !

انها كثيرة الصخَب دائمة الذّرَب [3]

مُهينةٌ للأهل ، مؤذيةٌ للبعل ، مسيئة إلى الجار ، مُظْهِرَةٌ للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شرًّا أذاعته !

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليكَ بوادرَ كلامك ، بنوافذَ أقرع [4] بك كل سهامك .

وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلا [5] .

فقال معاوية : أناشدكِ أن تجيبى وتردى عليه !

فقالت : ياأميرَ المؤمنين ! ماعلمتهُ إلا مسئولًا جهولًا ، مُلِحًّا بخيلا ، إن قال فشَرٌّ قائل ، وإن سكت فذو دغائل [6] !

لَيْثٌ [7] حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يضاف .

إن ذكر الجود انقمع [8] ، لما يعرف من قصر رشائه [9] ولؤم آبائه !

---

(١) ريبة : شبهة وشك . (٢) هفوة : غلطة وسقطة .

(٣) الصخب : علو الصوت واختلاطه والصياح . وطول اللسان هو الذّرَب والرجل ذَرِب وذَرِبٌ والمرأة ذِرْبة .

(٤) تقصد أنه لولا احترام المجلس لردت عليه بعبارات تبطل كل حجمه وتسكته !

(٥) إساءة وحمقاً . (٦) أحقاد .

(٧) ليث : أسد . (٨) انقمع : تغيب ودخل وراء ستر خجلاً وبخلاً

(٩) والرشاء : الحبل يربط به الدلو لإحضار الماء من البئر . وقصره كناية عن تقصيره وتخلفه فى مجال الكرم .

ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ، ولا يحمى ذِماراً[1] ! ولا يدرك ثاراً[2] .

أكرم الناس عليه من أهانه ، وأهونهم عليه من أكرمه !

فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تأتى به هذه المرأة من السجع !

فقال له أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقة ! ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟!

فقال لها معاوية : إذا كان المساء فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان المساء جاءت ومعها ابنها قد احتضنته، فلما رآها أبو الأسود ، قام إليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : ياأبا الأسود ! دعها تنطق بحجتها ولا تُعْجِلْها !

قال : ياأميرَ المؤمنين ؛ أنا أحق بحمل ابنى منها .

فقال له معاوية : ياأبا الأسود ؛ دعها تتكلم ، فقالت : أصْلحَ اللهُ الأمير ..

هذا ابنى كان بَطْنى له وِعَاءً ..
و حِجْـرى له فِـنَاءً[3] ..
وثَـدْيى لـه سِـقاءً ..
أكـلؤه إذا نـام[4] ..
وأحفظـه إذا قـام...
فـلم أزَلْ كذلك سبعة أعـوام ..
حتـى كملـت خصـالهُ ..
واسْتَوْكَفَتْ أوصـالهُ[5] ...
فحيـن أمَّـلّت نفعَـه ..

---

(١) الذمار : العهد .
(٢) عاجز عن الأخذ بثأره .
(٣) كفناء البيت يتحرك فيه ويدرج .
(٤) أكلؤه أحفظه وأسهر على رعايته .
(٥) اشتد ساعده وقويت عضلاته وتماسك .

ورَجَوْت دَفْعَـه[1] ..
أراد أن يأخذَهُ منى !!
أيهـا الأميـر ، عليـه !
فقـال أبـو الأسـود :
أصـلحك الله !
هـذا ابنـى ..
حملتـهُ قبـل أن تحمِـلَه ..
ووضعتـهُ قبـل أن تضعَـه ..
وأنا أقـوم عليه فى أدَبـه
وأنظـر فى أوَدِه
أمْنحـهُ حِلْـمى ..
وألْهـمُه عِلْمـى ..
حتى تَحكّم عقـلهُ [2] ، واستحكم فَتْلُه [3]
فقـالت : أصلح الله الأمير .. صدق .. حَمَله خِفًّا وحملتُه ثِقْلاً .. ووضعه شهوةً ووضعتُه كرهـا ..

فقال معاوية : اردد على المرأة ولدها ، فهى أحق به منك !
ودعنى من سجعك يا أبا الأسـود !!

* ما هكذا تورَد ياسعد الإبل !!

من حمقى العرب :

زهير بن جناب الكلبى ومالك بن زيد مناة بن تميم وكان يرعى على أخيه سعد ابن مناة ، فزوّجه أخوه وهو غائب عنها « نَوّار بنت جِلّ بن عدى بن عبد مناة »

---

(١) دفعه : سعيه وكفاحه .
(٢) الأود : يقال : أقام أوَدَه : أى أصلح اعوجاجه .
(٣) تحكم عقله : صار محكماً .
(٤) أصبح قوياً .

فلما رجع من الإبل مُمْسِياً دخل عليها ، وعُلْبته فى يده ، ونعلاه فى رجليه ، وكساؤه على منكبه ، فجلس ناحية ينظر إليها ؟

فقالت : ضع نَعْلَيْكَ .

فقال : رجلاى أحرَزُ لهما .

قالت : ضع عُلْبَتك .

قال : يدى أحفظُ لها .

قالت : ضع كِسَاءك .

قال : عاتقى [1] أحمل له .

فأعطته طِيباً فأهوى به إلى استه[2]

فقالت : ادهُنْ به وجهك .

فقال : أُطيّب به مناتنى أولى .

فدنت منه وقد تطيبت وتعطرت ، فانتشر عليها ؛ فتجلّلها[3] ؛ فلما أصبح غدا عليه سعد ، فقال له :

يا مالِ [4] اغدُ على إبلك ، فقال :

والله لا أرعاها أبداً ، اطلب لها راعياً سواى ! ؛ فأورد سعد إبله ، فانتشرت عليه [5] ، فأنشأ يقول ـ ويُعَرّض بأخيه مالك :

يظَلّ يـوم وِرْدِهـا مُزَعْفَـرا وَهْىَ خناطيلُ تَجُوسُ الخُضَرا [6]

فقالت له امرأته :

أجبْه . قال : وما أقول ؟

قالت : قل .

أوردها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشتَمِـل ما هكـذا تورَدُ يا سَعْـدُ الإبِـل

(١) العاتق مابين المنكب والعنق .

(٢) الاسْت : المقعدة . وبعضهم يطلقها على فتحة الدبر . والطيب : العطر ومايتطيب به من الروائح الجميلة .

(٣) تجللها : علاها .

(٤) منادى حذف منه الحرف الأخير تخفيفاً أو تدليلا ويسمى ذلك عند النحاة ترخيماً . كما قال ابن مالك فى ألفيته : ترخيماً احذف آخر المنادى كياسُعَا .. فيمن دعا سُعَادا .

(٥) ذهبت هنا وهناك. (٦) مزعفراً : معطراً بالزعفران . وخناطيل : متفرقة .

* بلاغتها كانت السبب فى طلاقها !

الشرع يبيح للمسلم أن يتزوج أربعاً مادام قادراً على العدل بينهن ، وله أن يطلقهن إذا لم يحدث بينه وبينهن وفاق !

لكن صاحبنا هنا يقوم بطلاق خمس نسوة فى وقت واحد فمن أين له الخامسة ؟ .. إليك قصته التى ذكرتها كتب الأدب :

لقد كان سيىء الخلق ، وكانت زوجاته الأربع فى خلاف وشجار متواصل ليل نهار ، فقرر أن يتخلص منهن ، فأشار إلى إحداهن وقال :

أنت طالق حيث كنتِ السبب فى إشعال نار العداوة !

فقالت له صاحبتها :

لقد تعجلت بطلاقها ، وكان يمكنك أن تؤدبها بغير ذلك !

فقال لها : وأنت أيضا طالق !

فقالت له الثالثة : قبحك الله .. لقد أخلصتَا لك ، وقامتَا بخدمتك خير قيام ، فهل كان هذا هو الجزاء ؟!

فقال لها : وأنت أيضا طالق !

فقالت الرابعة : لقد ضاق صدرك عن أن تؤدبَ نساءك إلا بالطلاق ، وذلك لا يدل إلا على ضعفك !

فقال لها : وأنت أيضاً طالق !

ولكن جارة لهن شهدت هذه الواقعة وسمعت ما كان منه ومنهن ، فراحت تعاتبه قائلة :

لقد تسرعت وتعجلت ، وسوف يعيّرك الناس بذلك ! هل يطلق رجل نساءه الأربع فى ساعة واحدة ؟ إن هذا لعجيب !

فقال لها الرجل :

وأنت أيتها المحامية البليغة طالق أيضاً ـ إن أجاز زوجك ـ

فأجابه زوجها ـ على الفور ـ من داخل الدار : قد أجزت !!

فراح الناس يتحدثون بأمر الرجل الذى طلق خمساً فى ساعة واحدة بينما هو لا يملك إلا أربعاً !!

* عندما تبسّمَ الحجاج !

وجّه الحَجّاج إلى هند ابنة إسماعيل بن خارجة من يخطبها ووجه إليها ثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كل جارية صندوق ثياب وقال لها :

إنى أكره أن أبيت خِلْواً ومالى زوجة !!

فقالت : وما احتباسُ امرأة عن زوجها ، وقد ملكها وآتاها صداقها ، وكرامتها ؟!

ثم أصلحت من شأنها ، وأتته من ليلتها !

قال المدائنى : بلغنى عن المرأة التى تولت زَفّها أنها قالت : دخلنا على الحجّاج وهو فى بيت عظيم ، فى أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة على فرشه ، فلما دخلتُ عليه سَلَّمْتُ ، فأومأ إلىّ بقضيب كان فى يده ، فجلست عند رجليه ، ومكث ساعة لا يتكلّم ونحن وقوف ، فضربتْ بيدها على فَخِذِه وقالت :

« ليس هذا وقتَ سُوءِ الخُلق !! »

فَتَبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً ، فدعونا له ، وأرخينا الستور عليهما !!

* شقاوة امرأة !

كانت هند ابنة النعمان أحسن أهل زمانها ، فوُصِفَ للحجاج حسنُها فأنفذ يخطبها ، وبذل لها جزيلاً ، وتزوج بها ، وشرط لها عليه بعد الصداق ، مائتى ألف درهم ، ودخل بها ، ثم انحدرت معه إلى بلد أبيها بالمعَرّة مدة طويلة ، ثم

رجل بها إلى العراق ، فأقامت معه ماشاء الله ، ثم دخل فى بعض الأيام وهى تنظر فى المرآة وتقول :

وما هِندُ إلا مُهْرَةٌ عربيـــة سليلةُ أفراسٍ تجلَّلَها بَغْلُ [1]
فإن ولدت فحلاً فلله دَرُّهَا وإن ولَدَت بَغْلا فجاء به البغل!

فانصرف الحجاج راجعاً ، ولم يدخل عليها ، ولم تكن علمت به !

فأراد الحجاج طلاقَها ، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر ، وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم ، وهى التى كانت لها عليه ، وقال : يابن طاهر !

طلّقْها بكلمتين ، ولا تَزِدْ عليهما ، فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها :

يقول لك أبو محمد الحجاج :

كُنْتِ فبِنْت [2] !

وهذه المائتا ألف درهم التى كانت قِبَلَه .

فقالت : اعلم يابن طاهر :

أنا ــ والله ــ كنا فما حمدنا ، وبِنَّا فما ندمنا ! وهذه المائتا ألف درهم التى جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب بنى ثقيف !

ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الله بن مروان خبرها ، ووُصِفَ له جمالُها ، فأرسل إليها يخطبها !

فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه :

اعلم يا أميرَ المؤمنين أن الإناء وَلَغ فيه الكلب !

فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول :

إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب !

فاغسلى الإناء بحل الاستعمال !

---

(١) تجللها : علاها

(٢) أى كنت زوجة له فأصبحت مطلقة طلاقاً بائناً غير رجعى .

فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم تستطع مخالفته ، فكتبت إليه بعد الثناء عليه :

يا أميرَ المؤمنين ، والله لا أحل العقد إلا بشرط ! فإن قلت : ما هو الشرط ؟

قلت : أن يقود الحجاج مَحْمَلى من المَعَرّة إلى بلدك التى أنت فيها ، ويكون ماشياً حافياً بحِلْيَته التى كان فيها أولاً . فلما قرأ عبد الملك ذلك ضحك ضحكاً شديداً ، وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك .

فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر ، ولم يخالف ،وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز .

فتجهزت ، وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند . فركبت هند فى محمل الزفاف ، وركب حولها جواريها ، وخدمها ، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها .

فجعلت هند تتواغد عليه ، وتضحك مع الهيفاء دايتها ، ثم قالت للهيفاء :

يا داية ، اكشفى لى سجف المحمل ، فكشفته ، فوقع وجهها فى وجه الحجاج ، فضحكت عليه ، فأنشأ يقول :

فإن تضحكى مِنّى فيا طولَ ليلةٍ تركتُك فيها كالقباءِ المفرّج

فأجابته هند تقول .

وما نُبالى إذا أرواحنا سَلِمَتْ بما فقدناه من مالٍ ومن نَشَبِ
فالمال مكتسبٌ ، والعزّ مرتَجَعٌ إذا النفوسُ وقاها الله من عطَبِ !

ولم تزل كذلك ، تضحك ، وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار على الأرض ، ونادت : يا جَمّال ! إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا ! فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا دينارا ، فقال : إنما هو دينار !

فقالت : بل هو درهم !

قال : بل هو دينار !

فقالت : الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً فخجل الحجاج ،

وسكت ، ولم يرد جواباً !

ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها !

* من غرّة النساء بُوَدّ !!

قال الهيثم بْن عدى :

غزا الغسّانى الحارثَ بَن عَمْرٍو آكلَ المرار الكندى فى منزله فلم يُصِبْه !

فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأتهُ ، فلما أصابها [1] أُعْجِبَتْ به !!

وقالت له : أُنْجُ بنفسك ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاغِراً فاه كأنه بعير آكلُ المِرَار !!

وبلغ الحارث ذلك فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، واستعاد امرأته !

فقال لها : هل كان قد أصابك ؟!

قالت : نعم ، فوالله ما اشتملت النساءُ على أطيبَ منه قط !!

فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى قطعاها !!

ثم أنشأ يقول :

كـل أنثـى وإن بدالـك منهـا ... آيـةُ الوُد حُبُّهـا خَيْثَعُـور [2] !

إن من غَـرّه النسـاءُ بـوُدٍّ ... بعـد هِنـدٍ لجـاهلٌ مغـرور !!

* عُلَيّة بنت المهدى

كانت علية لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام .

عَلِقَت بغلام اسمه رشا ، وفيه تقول :

---

(١) جامعها .

(٢) امرأة خيثعور : لا يدوم وُدُّها !

أضحـــى الفـــؤاد بزينـــبـــا صَبّـــاً كئيـــبـــاً مُتْعَبَـــا
فجعـــلتُ زينـــبَ سُـتْـــرةً وكتمـــت أمـــراً مُعْجِبـــاً

فنُمى الأمر إلى أخيها الرشيد فأبعده ، وقيل قتله ! وعَلِقت بعده بغلام اسمه « طَلّ » .

فقال لها الرشيد : والله لئن ذكرتِه لأقتلنّكِ !

فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهى تقرأ : فإن لم يُصِبْها وابل « فما نهى عنه أميرُ المؤمنين » !

فضحك وقال :

ولا كـــل هـــــذا !!

* ما وراء الحُلِىّ !!

قال ابن الجَهم : اشتريت جاريةً فكنتُ إذا أردت أن أحَلِّيَها [1] تأبى ذلك وتقول :

إنه يُغَطّى المحاسن ؛ كما يستر القبائح !

وحكى عنه ابن الجوزى فى الأذكياء قال : قلت لهذه الجارية :

كم بيننا وبين الصبح !

قالت : عِناق مُشتاق !

قال : ونظَرَتْ يوماً إلى الشمس فى حالة كسوفها ، فقالت : احتشمت من محاسنى فانْتَقَبَتْ[2] .

قال : وقلتُ لها يوماً :

تعالَىْ نجلسْ فى هذا القمر !

فقالت : ما أوْلَعَك بالجمع بين الضرائر [3] !!

---

(١) أزينها بالجواهر والحلى وغيرها .
(٢) غطت وجهها كناية عن الكسوف !
(٣) جمع ضرة وهى الزوجة الأخرى !

* سر إضرابها عن الزينة والكحل(*)

تزوج الحسنُ بنُ على رضوان الله عليهما : خَوْلةَ بنتَ منظور .

فأقامت عنده حَوْلا [1] لا تكتحل ولا تتزين حتى ولدت له ابناً ، فدخل عليها وقد تزينت فقال : ما هذا ؟

قالت : خفت أن أتزيّن وأتَصنَّع [2] ؛ فيقول النساء ، تجملت فلم تر عنده شيئاً ، فأما وقد جاء هذا فلا أبالى !!

فلما مات جزعَت عليه جزعاً شديدا !

فقال أبوها منظور :

نُبِّئْتُ خَوْلَةُ أمسِ قد جزعت ... من أن تنوبَ نوائب الدهر !
لاتجزعى ياخَوْلُ واصطبرى ... إن الكرامَ بُنوا على الصّبرِ

* معجبة بجمالها

يقول أمير الشعراء أحمد شوقى :

خدَعُوها بقولهم : حَسْناءُ ... والغَوانى يغرُّهُنَّ الثَّناء !

وما أحسن موقف التابعىّ الجليل : عُبيد بن عمير المكى قاصّ أهل مكة المتوفى سنة ٦٨ من الهجرة !

لقد اشتهر بمتانة دينه وصلاحه ، وكان فصيحاً بليغاً يجلس الصحابى عبد الله ابن عمر فى حلقته ، ويبكى متأثراً بكلامه وصلاحه !

فقد جاءته امرأة جميلة معجبة بجمالها تريد أن تفتنه عن دينه وصلاحه . فأخرجها من أن تكون فاتنة من الفاتنات إلى أن تكون عابدة من العابدات ، وردها إلى الله بالفهم لنعمه ، وحسن الشكر له سبحانه . قال العِجْلى فى كتابه « الثقات » :

(*) أمالى الزّجاج . (١) عاما . (٢) أتصنع : أتجمل .

حدثنى أبو عبد الله قال :

« كانت امرأة جميلة بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلى وجهها فى المرآة ، فقالت لزوجها :

أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يُفْتن به ؟!

قال : نعم

قالت : من ؟

قال : عُبيد بن عمير .

قالت : فَأْذن لى فيه لِأَفتنَه !

قال : قد أذنت لك !

فأتته ؛ فاستفتته ، فخلا معها فى ناحية من المسجد الحرام ، قال :

فأسْفرت عن مثل فَلْقة القمر !

فقال لها : يا أمةُ ، اتقى الله !

قالت : إنى قد فُتِنْتُ بك ، فانظر فى أمرى !

قال : إنى سائلكِ عن شيء ، فإن أنت صدقت نظرتُ فى أمرك !

قالت : لا تَسَلْنى عن شيء إلا صَدَقتُك .

قال : أخبرينى ، لو أن ملك الموتِ أتاكِ ليقبضَ رُوحك أكان يسرك أن قضيت لكِ هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فلو أن الناس أُعطوا كتبهم ، ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك ؟

أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهمّ لا .

قال : صدقت !

قال : فلو أردتِ الممرّ على الصراط ، ولا تدرين أتنجين أم لا تنجين !

أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صَدَقت !

قال : فلو جيء بـ'وازين ، وجيء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين !

أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟!

قالت : اللهم لا !

قال : صدقت .

قال : فلو وقفت بين يدى الله للمساءلة ، أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فاتقى الله يا أمة الله ؛ فقد أنعم الله عليك ، وأحسن إليك !

قال : فرجعت إلى زوجها . قال : ماصنعت ؟

قالت : أنت بطال ، ونحن بطالون !

فأقبلت على الصلاة ، والصوم ، والعبادة ؛ فكان زوجها يقول :

مالى ولعُبَيْد بن عمر أفسدَ علىّ امرأتى !!

ولقد صدق من قال :

مَا الْكِيمَا قلبُ الحجارةِ فِضَّةً بل أن تُزيلَ الظُّلمةَ الأنوارُ !

* أيحق له أن يتزوج على مثلى ؟!

قال يونس بن عبيد :

صحبت الحسن البصرى ثلاثين سنة ، ما سمعته قط خاض فى شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ، إنما كان أكثر ذكره الموت ! حتى أتته امرأة يوماً ناهيك من امرأة [1] شباباً وجمالًا وشحماً ولحماً ، يدفع بعضها بعضا !

(١) أى تنهاك وتصرفك عن النظر إلى غيرها بما هى عليه من جمال !

فجلست بين يديه وقالت :

يا شيخ ، أيحل للرجل أن يتزوج على امرأته وهى شابة جميلة ولود ؟

قال : نعم .

أحلّ الله له أربعا .

قال : فكشفت عن وجهٍ لم يُرَ مثله حسناً ، وقالت : أوَ عَلَى مِثْلى ؟

قال : نعم .

قالت : سبحان الله العظيم !

بعيشِك يا أبا سعيد ، لا تُفْتِ الرجال بهذا !

ثم قامت منصرفة ، وأتبعها الحسن البصرى بصره ثم قال : ما ضر امْرَأً كانت هذه عنده ما فاته من دنياه !

* هكذا النساء العاقلات !

حدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت :

يا أمّهْ :

من نشَر ثوبَ الثناء ، فقد أدّى واجبَ الجزاء !

وفى كِتمان الشُّكْر جحود لما وجب من الحق ، ودخول فى كفر النِّعَم

فقالت لها أُمُّها :

أىْ بُنَيّة !

أَطَبْتِ الثناء ، وقمتِ بالجزاء ، ولم تدعى لِلَّوْم موضِعاً ؛ إنى وجدت مَنْ عَقَلَ لم يَعْجَل بذمّ ، ولا ثناء إلا بعد اختبار !

فقالت :

يا أمّه ، ما مدحت حتى اختبرت ولا وصفت حتى عرفت !!

* لا والله !! ماكنت لأُطيعَه حَيًّا وأعصيه ميِّتاً !!

لما تولّى عمرُ بن عبد العزيز الخلافة بعهدٍ من سُلَيمانَ بن عبد الملك ، جعل يأخذ من المُكْثِرين ويُعطى المُقِلّين ، حتى عَمَّ الرخاء جميع الأرجاء ، وقدْ بدأ بنفسه ، وذوى قرابته من بنى أمية :

فدخل على زوجته فاطمةَ بنتِ عبد الملك ، وقال لها : يافاطمةُ ، إن أردْتِ صُحبتى ، فقدِّمى كلّ مالديك من مالٍ ، وحُلِيّ ، وجواهِرَ لبيت مالِ المسلمين فأنا لاأجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد !!

فقالت : هو ماتقول ياأميرَ المؤمنين ، وقدمته كلَّه لبيت مال المسلمين !

فلما مات زوجها عمر بن عبد العزيز ــ رضى الله عنه ــ وتولى الخلافة بعده أخوها يزيد بن عبد الملك ، قال لها : أعلم أن عمرَ ظلمك !!

وسأرد إليك كلَّ ماأخذه منك ومثلَه !

فأبت وقالت :

لا والله ما كنت لأطيعَه حيّا وأَعْصِيه مَيِّتاً !!

* جلال الصبّر وقوة الإيمان

بلغت المرأة المسلمة الغاية من جلال الصبر وقوة الإيمان ، وهاهو ذا أنس بن مالك يحدث عن أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية زوج أبى طلحة زيد بن سهل قال : « مرض أخ لى من أبى طليحة يُدعى أبا عُمير . فبينَا أبو طلحة فى المسجد ، مات الصبى ، فهيأت أم سُلَيْم أمره ، وقالت : « لاتُخبروا أبا طلحة بموت ابنه » فرجع من المسجد وقد تطيبت له ، وتصنّعت !

فقال : مافعل ابنى ؟

قالت : **هو أسْكَنُ مما كان** .

وقدمت عشاءه ، فتعشى هو وأصحابه الذى قدموا معه ، ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان . فلما كان آخر الليل قالت :

يا أبا طلحة ، «ألم تَرَ إلى آل فلان» ، استعاروا عاريةً ، فتمتعوا بها ، فلما طلبت إليهم شَقَّ عليهم ؟

قال : ما أنصفوا .

قالت : **فإن ابنك فلانا كان عاريةً من الله فقبضه إليه !**

فاسترجع ، وحمد الله ، وقال :

والله لا أدَعُكِ تَغْلبيننى على الصبر . حتى أصبح غَدَا على رسول الله ﷺ .

فلما رآه قال :

«**بارك الله لكما فى ليلتكما**» . فاشتملت تلك الليلة على عبد الله بن أبى طلحة ، ولم يمت عبد الله حتى رزق عشر بنين كلهم حفظ القرآن وأبلى فى سبيل الله[1].

* إيمان وثبات

● أُتِىَ عبيد الله بن زياد بامرأة من نساء الخوارج ممن عُرِف عنهن رَبَاطةُ نفوسهن ، وثبات قلوبهن ، وكان لها دور فى قتاله ، والإغراء به .

فبدأ يقطع رجلها ، وقال لها :

كيف تَرَيْنَ ؟!

فقالت : إن فى الفكر فى هول المطلع ، لشُغْلا عن حديدتكم هذه !

● وأتى الحجّاج بأخرى منهن ، فجعل يكلمها وهى لا تلتفت إليه ، فقيل لها : الأمير يكلمك ، وأنت لا تنظرين إليه ؟!

فقالت :

إنى لأستحى أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقُتِلتْ .

---

(١) صحيح البخارى ـ الإصابة ج ٨ ص ٢٣٤ ـ ٢٤٤ وابن سعد ج ٧ ص ٣١٥ ـ ٣١٨ .

* تَعْدُو الذئاب على من لا كلاب له !

قال الهَيْثَمُ بنُ عدىّ :

قَدِمَتْ امرأةٌ مكة ، وكانت من أجمل النساء ، فنظر إليها عمرُ بنُ ربيعةَ ، فوقَعَتْ [1] فى قلبه ، فكلمها فلم تجبه ، فلما كان فى الليلة الثانية تعرّضَ لها ، فقالت : إليكَ عنى [2] ! .. فاتِكٌ فى حرم الله ؟!

وفى أيامٍ عظيمة الحرمة ؟!

فألحّ عليها ، فخافت الشُّهرة !!

فقالت لأخيها فى الليلة الثالثة :

اخْرُج معى فأَرِنِي المناسِك ..

فتعرض لها عمر ؛ فلما رأى أخاها معها أعرض عنهما !

فتمثلت بقول الشاعر :

تعْدو الذّئاب على مَنْ لا كِلابَ له ... وتتّقِى صَوْلَةَ المستأسِدِ الضَّارى !

●●●

تُرى ما أثر هذا الخبر فى نفسك ؟!

لقد سمعه أبو جعفر المنصور فقال :

وددت أنه لم يبق فتاة من قريش إلا سمعت بهذا الخبر !!

* صبر وحكمة

حكى اليافعى عن أبى الحسن السّرّاج قال :

خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، فبينما أنا أطوف ، وإذا بامرأة قد أضاء حسنُ وجْهِها فقلت :

---

(١) أعجبته ، وحلت من قلبه مكان الإعجاب والقبول .

(٢) ابتعد .

والله ما رأيت كاليوم قَطُّ نضارةً وحُسْناً مثل هذه المرأة !
وما ذلك إلا لقلة الهمّ والحزن .

فسمِعت ذلك القولَ مِنى ، فقالت : كيفما قلت هذا يا رجل ؟!
والله إنى لوثيقة بالأحزان ، مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان !

فقلت لها : وكيف ذلك ؟

قالت : ذبح زوجى شاةً ضحّى بها ، ولى ولدان صغيران يلعبان ، وعلى ثديى طفل يرضع ، فقمت لأصنع طعاماً .

فقال ابنى الكبير لأخيه الصغير : ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة ؟!

قال : بلى .

فأضجعه ، وذبحه ، وخرج هاربا نحو الجيل ، فأكله الذئب !

فانطلق أبوه فى طلبه ، فأدركه العطش فمات ! فوضعت الطفل ، وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوه ، فدب الطفل إلى الإناء وهو يغلى على النار فانقلب عليه ، فانتثر لحمه على عظمه !

فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فسقطت مغشياً عليها فوافقت أجلها !

فأفردنى الدهر من بينهم !

فقلت لها : فكيف صبرك على هذه المصائب ؟

فقالت : ما مِن أحدٍ مَيّز **الصبرَ والجزع** إلا وجد بينهما منهاجاً متفاوتاً .

فأما **الصبر** بحسن العلانية فمحمود العاقبة !

وأما **الجزع** فصاحبهُ غيرُ مُعَوّض !

فقلت لها : لقد صبرت فأجملت ، ونعم عُقْبى الصابرين ! .

* يغفر الله لأهل الجمال

خرج أبو حازم يوماً يرمى الجمار ، فإذا هو بامرأة حاسر [1] ، قد فتنت الناس بحسن وجهها ، وألهتهم بجمالها !

(١) حاسر وسافر ليس فى وجهها قناع .

فقال لها : يا هذه ، إنك بمشعر حرام ، وقد فتنت الناس ، وشغلتيهم عن مناسكهم ؛ فاتقى الله واستتري ؛ فإن الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز :﴿ **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** ﴾

[٣١/النور]

فقالت : إنى من اللاتى قيل فيهن :

أماطت كساء الخزّ عن حُرّ وجهها ... وأرخت على المتنَيْن بُرْداً مُهَلْهلا (١)

مِنَ اللاء لم يَحْجُجْن يبغين حِسْبةً ... ولكن ليقتلن البرىء المغفّلا (٢)

وهذا الشعر للحارث بن خالد المخزومى ـ فقال أبو حازم لأصحابه :

تعالَوْا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله بالنار !

فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبى فقال :

ما أرَقَّكم يأهل الحجاز وأظرفكم !

أما والله لو كانت من قرى العراق لقال : اعزبى (٣) عن وجهى عليك لعنة الله !!

* صحابية تحمل خنجراً

كانت أم سُليم تصحب رسول الله ﷺ فى غزواته ، فتداوى الجرحى ، وتسقى العطاش ، وربما جاوزت ذلك فانغمرت فى الجيش غازيَةً .

ولها فى الحرب حديث مفاض ، وكانت يوم حُنَيْن حاملا ، فرآها أبو طلحة متقلدة خنجراً مشهوراً فشكاها إلى رسول الله ﷺ ! فقالت : **يا رسولَ الله ، أتخذه إن دنا أحد من المشركين بَقَرْتُ بطنه ، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم إن**

---

(١) أماطت : أزالت وكشفت . والخز : الحرير . والمتنان : الكتفان والبُرد : الكساء . ويقول المعجم الوسيط : والمتنان مكتفاً الصلب من العصب واللحم من عن يمينه وشماله .

(٢) حسبة : من أجل احتساب الثواب عند الله .

(٣) اعزبى : ابعدى واختفى . ومثلها : اغربى .

انهزموا بك .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : «يا أم سُلَيم ، إن الله كفى فأحسن» وأم سليم من اللواتى أكرمهن رسول الله ﷺ بزيارتها ، وربما طعم وبات فى دارها ـ رضى الله عنه ، وكان لأنس حين قدم إلى المدينة عشر سنوات ، فذهبت به إليه فقالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدمك ، فأقام على خدمته ﷺ عشر سنوات حتى لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى .

* أم حكيم وراءك !

اشترك النساء مع الرجال فى القتال ، فقد روى أبو الفرج فى الأغانى :

أن امرأة من الخوارج كانت مع قطَرِىّ بن الفُجاءة ، يقال لها : أم حكيم .

وكانت أشجع الناس وأجملهم وجهاً ، وأشدهم بالدين تمسكاً .

أخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس [1] وترتجز :

أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَه وقد مَلِلْتُ دَهْنَه وغَسْلَه

ألا فتًى يحمِلُ عَنِّىّ ثقلَه ؟!

وحدث أن أرسل ابن زياد أسلم بن زرعة فى ألفين لمحاربة فرقتها فهزمته ، وكانت فى أربعين من الخوارج .

فقال له ابن زياد : ويلك !

أتمضى فى ألفين فتنهزم لحملة أربعين ؟!

وكان أسلم هذا إذا خرج إلى السوق ، أو مرّ بصبيان صاحوا به : أم حكيم وراءك !!

* مثل رائع من أمثلة الوفاء والمروءة !

روى أن رجلا من عُذْرة ، شكا إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان ، مروان ابن الحكم عامله على المدينة ؛ لرغبة فى التفريق بينه وبين زوجته على الرغم

---

(١) تحمل : تهجم . وترتجز . وتقول شعرا من بحر الرجز .

منها ! ؛ لفقر نزل به بعد عز ، ولرغبته فى أن يتزوج منها لجمالها الرائع ، فأمر أمير المؤمنين بإحضارها ، فلما مثلت بين يديه ، راقه هو أيضا جمالها ، وودّ لو أنها له زوجة !

فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ! فتوجه معاوية نحوها ، وقال لها :

يا سُعْدَى ! ؛ أينا أحبّ إليك :

- أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره ؟!
- أم مروان بن الحكم فى غصبه واعتدائه ؟!
- أم الأعرابى فى جوعه وأطماره [1] ؟!

فأشارت إلى ابن عمها الأعرابى ، وأنشأت تقول :

هذا وإن كان فى جُوعٍ وأَطْمَارِ ... أعَزُّ عِنْدىَ من أهلى ومن جارى
وصاحبِ التاج أو مروان عامله ... وكلِّ ذى درهم منهم ودينار !!

ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، لستُ لَحدثَانِ[2] الدهرِ بخاذلته ، ولقد كانت لى معه عيشة راضية ، وأنا أحَقّ من صَبر معه على السراء والضرّاء ، وعلى الشّدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القَسْم الذى كتب الله لى منه !

فتعجب معاوية من عقلها ، ومروءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وألحقها بصدقات بيت المؤمنين .

* لولا الله

عن ابن جُريج قال :

أخبرنى من أصدقه أن عمر بن الخطاب ، بينما كان يطوف لَيْلاً ، سمع امرأة تقول :

---

(١) جمع طِمْر : وهو الثوب الخَلَق .
(٢) حَدَثَان الدهر : نوائبه وأحداثه . بخاذلته : بمتخلية عنه .

تَطَاوَلَ هذا اللَّيْلُ واسودَّ جانبُه ... وأرّقَنِى ألا ضجيـع ألاعبُـه
فوالله لولا الله تُخْشَى عواقبُـه ... لزُحْزِحَ من هذا السّرير جوانبُه
ولكنَّنـى أخشى رقيبـاً مُوَكّلاً ... بأنفسنـا لايَفْتُرُ الدهرَ كاتِبُه
مخافةُ ربىّ والحَيـاءُ يَصُـدُّنى ... وأُكـرم بعـلى أن تُنـالَ مراتِبُه

فقال لها عمر :

ومالك ؟

فقالت :

أغزيْتَ زوجى منذ أشهر[1] ؛ واشتقت إليه !

قال : أردت سوءاً ؟

فقالت : معاذ الله !

قال : فاملكى عليك نفسك ، إنما هو البريد إليه [2] .

وبعث إليه .

ثم دخل على ابنته «أم المؤمنين حفصة» وقال : إنى سائلك عن أمر قد أهمنى ، فافرجيه عنى !

كم تشتاق المرأة إلى زوجها ! إذا غاب عنها ؟!

فخفضت رأسها ، واستحيت .

فقال : فإن الله لا يستحى من الحق !

فأشارت بيدها : «ثلاثة أشهر» ، وإلا فأربعة !

فكتب عمر :

لاتُحْبَـس الجيـوش فوق أربعـة أشـهر .

* وفاء زوجة !

عن رجل من بنى أسد قال :

أضللت إبِلاً لى .. ؛ فخرجت فى طلبهن ، فهبطت وادياً وإذا أنا بفتاة ،

(١) أرسلته مع من وجهتهم للحرب والغزو .
(٢) أى مسافة وصول البريد إليه .

أعشى نورُ وجهها نورَ بصرى !

فقالت لى : يافتى مالىْ أراك مولها (ساهى القلب ذاهل العقل) ؟!

فقلت : أضللت إبـلاً لى ، فأنا فى طلبها .

فقالت : أفأدلك على من هى عنده ؟! وإن شاء أعطاكها [1] !

قلت : نعم . وله أفضلهن .

قالت : الذى أعطاكهن أخذها ، وإن شاء ردهن !

فسله عن طريق اليقين [2] ، لا من طريق الاختيار . فأعجبنى ما رأيت من جمالها وحسن كمالها !

فقلت : ألك بعل ؟

قالت : قد كان ، ودُعى فأجاب ، فأعيد إلى ما خُلِق منه [3] !

قلت : فما بالك ببعل تؤمن بوائقه (شروره) ،ولا تُذَمُّ خلائقه ؟! (صفاته وأخلاقه)

فرفعت رأسها وتنفست وقالت :

كنّـا كغصنين فى أصْلٍ غـــذاؤهما	ماء الجداول فى روضات جنّاتِ [4]
فاجتَثّ خيرَهما من جنب صاحبه	دهرٌ يَكرّ بترحاتٍ وفَرْحَات [5]
وكـان عاهـدنى إن خاننى زمنٌ	ألا أبُوءَ ببَعْلٍ طُـولَ مَحْيـاتى [6]
فلم نزل هكذا والوصل شيمتُنا	حتى تُوُفّى قريـــاً مُذْ سُنَيّات
فاقبض عِنَانك عمن ليس يردعه	عن الوفـاء خلافٌ بالتحيـاتِ

---

(١) تقصد أن المال مال الله هو الذى يعطى ويأخذ .

(٢) سله وأنت على يقين بأن كل شىء من عنده ، وأنه قادر على ردها ، وهو العليم بما صار عليه أمرها !

(٣) لبى نداء ربه ، وعاد إلى التراب !

(٤) كنا ننعم بحياة صافية . (٥) اجتث : قطع . ترحات : أحزان .

(٦) أبوء ببعل : أرجع .

هكذا والله يكون الوفاء !

قال أبو على القالى :

حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد عن أبى حاتم عن العُتْبى قال :
حدثنى أبى قال : اجتمعت عن خالد بن عبد الله القَسْرى فقهاء الكوفة ، وفيهم أبو حمزة الثَّمالى ، فقال خالد :
حدثونا بحديث عِشق ليس به فُحْش !

فقال أبو حمزة : أصلح الله الأمير ، بلغنى أنه ذكر عند هشام بن عبد الملك غدر النساء ، وسرعة تزويجهن بعد انقضاء عدتهن ، فقال هشام : إنه ليبلغنى من ذلك العجب .

فقال بعض جلسائه : أنا أحدثك يا أمير المؤمنين عما بلغنى عن امرأة من بنى يَشْكُر كانت عند ابن عمٍّ لها ، فمات عنها ، بعد مَسْأَلتِه إياها [1] عما تريد أن تصنع بعده ؟!

فأخذ العهود عليها فى ذلك ، وكان اسمه غسان بن جهضم بن الغُذافر ، وكان اسم ابنة عمه أم عقبة بنت عمر بن الأبجر ، وكان لها محبًّا ، **وكانت له كذلك** ، فلما حضره الموت ، وظن أنه مفارق الدنيا ، قال : ثلاثة أبيات ، ثم قال :
اسمعى يا أم عقبة ، ثم أجيبى ، فقد تاقت نفسى إلى مَسْأَلتك عن نفسك ، فقالت :

لا أجيبك بكذب ، ولا أجعله آخر حظى منك ، فقال :

أخبِرى بالّذى تريدين بَعْدى ... والّذى تريديـنَ يا أُمَّ عُقْبَهْ
تحْفَظِينى من بَعْدِ موتى لما قَد ... كان مِنّى من حُسْن خُلقٍ وصُحْبَهْ
أم تُرِيدين ذا جمالٍ ومالٍ ... وأنا فى التُّرَابِ فى سُحْقِ غُرْبَهْ

فأجابته تقول :

قد سَمِعتُ الّذِى تَقُولُ ومَا قُلْ ... تُ يابنَ عَمِّى تخافُ من أُمِّ عُقْبَهْ

(١) أن سألها ووجه إليها سؤالا حول تصرفها بعد موته !

أنا من أحْفَظِ النساءِ وأرْعَـا هُنّ لما قد أولَيْت من حُسْنِ صُحْبَهْ
سوفَ أبكيكَ ما حَيِيتُ بنَوحٍ ومَـرَاثٍ أقو لُهـا وبنُدْبَـهْ

فما سمع ذلك أنشأ يقول :

أنـا واللهِ واثِـقٌ بكِ لكـن احتياطاً أخـاف غدرَ النساء
بعد موتَ الأزواجِ يا خيرَ من عُو شِرَ فارعَىْ حَقِّى بحُسْن الوفاء

إننى قـدْ رَجَوْتُ الْعَهْدَ فكُونى إن مُتُّ عند الرجاء

ثم أخذ عليها العهود ، واعْتُقِلَ لسانه ، فلم ينطق بحرف حتى مات !

فلم تمكث بعده إلا قليلاً حتى خُطِبتْ من كل وجه ، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضِلَةِ فيها ، فقالت مجيبة لهم :

سـأحفظُ غسَّاناً على بُعْدِ دارِه وأرْعَاهُ حتى نَلْتقى يومَ نُحْشَـرُ
وإنى لَفِى شُغْلٍ عن الناسِ كُلِّهم فَكُفُّوا فما مِثْلِى بمن مات يَغْدِرُ
سـأبكى عليه ما حَيِيتُ بدَمْعَةٍ تَجُول على الخدّين مِنّى فتَهْمِرُ

ولما تطاولت الأيام والليالى تناست عهدَه ، ثم قالت :

من مات فقد فات ، فأجابت بعض خُطّابها فتزوجها !

فلما كانت الليلة التى أراد الدخولَ بها فيها أتاها غسان فى منامها وقال :

غَدَرْتِ ولم تَرْعَىْ لبعلِك حُرْمـةً ولَمْ تَعْرفى حَقّاً ولم تحفظى عَهْـدَا
ولم تصبـرى حَوْلاً حِفَاظاً لصاحِب حَلَفْتِ له بَتّاً ولم تُنْجِزِى وَعْـدَا
غـدرْتِ به لما ثوى فى ضريحِه كَذَلِك يُنْسَى كُلُّ من سكن اللَّحْدَا!!

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسانَ معها فى جانب البيت ، وأنكر ذلك من حضر من نسائها ، فأنشدتهن الأبيات .

فأخذن بها فى حديث ينسينها ماهى فيه ، فقالت لهن :

والله ما بقى لى فى الحياة من أرب [1] حياء من غسَّان ؛ فتَغَفَّلتهن فأخذت مُدْيَةً فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها ، فقالت امرأة منهن هذه الأبيات :

لله دَرُّكِ مـــــــاذا لقيـــتِ مـــن غســـان ؟!
قَتَلْتِ نفسَـــــك حُـزْنـاً ياخيـــــرةَ النســـــوان
وَفَيْتِ مـــن بعـــد ماقـــــد هَمَمْـــت بالعصيـــــان
وذو المعـــــالى غفـــــور لســـــقطة الإنســـــان
إن الوفـــــاء مـن الله لـــم يزل بمكـــان

فلما بلغ ذلك المتزوج بها قال :

ماكـان فيـها مُسْتَمْتَعٌ بعـد غسّـان !

فقال هشام بن عبد الملك :

« هكذا والله يكون الوفاء » [2]

* أُحِبّه .. وإن غَدَر !!

الحب أعمى .. هكذا قالوا ..

وقد عاش أمير الشعراء تجربة زوجة أحبت .. ولكن زوجها فى وادٍ آخر .. تُرى بم تهتف ؟ وماذا تقول ؟

يا ظـــــالماً أُحِبُّـــــه جهـــد الهوى وإن غَـــدَرْ !
قلبـــــك لحـــــم ودمٌ مثـــلُ القلـــوبِ أم حَجَـــرْ ؟!
لـــم يتنصّـــل مـــــرةً مما جَنَـــى ولا اعتـــــذرْ !
ذنبُـــــك لايُغْفَـــــرُ إلّا أنّ قلبـــى قـــد غَفَـــرْ
إن غبتَ عـــن عينـــى فـــأنت فى ســـوارح الفِكَـــرْ

(١) مقصد ، وغاية ، وهدف .

(٢) لكن يمكن أن يكون الإنسان وفيًّا محتسباً ثوابه دون أن يموت منتحراً . وليس الوفاء سلباً ، وإنما هو عمل إيجابى ، فقد تتزوج المرأة وتحفظ نفسها وترعى أولاد زوجها المتوفّى ، وتعيش حياتها كريمة شريفة

أراك كلّمـــا رأيْـــ ..... ـت طـائرين فى الشـجرْ
وكلّما بدت لى الشَّـمْـ ..... ـسُ ولاح لـىَ القمـرْ
وكلّمـا ترنّـم الشـ ..... ـادى وحّـرك الوتـرْ
وكلّمـا دبّـت وراءَ الليـ ..... ـل نَسْـمَةُ السَّـحَرْ
ياليـت شِـعْرى كيـف أنـ ..... ـت ماتجـىء ماتـذر ؟ !

* اللهم اغفر لى ! وما أراك تفعل(*) !!

أبو بكر بن دُرَيْد يروى عن .. يعقوب بن يوسف الكندى قال :

حَجَجت ذات يوم فإذا أنا برجل عند البيت وهو يقول : اللهّم اغفر لى وما أراك تفعل !

قال : فقلت : ياهذا ، ماأعجبَ يأسَك من عفوِ الله !

قال : إن لى ذنباً عظيماً !

قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يوم جمعة ، فاعترضنا المسجد ، فنرى أنا قتلت ثلاثين ألفا !

ثم نادى مناديه :

من علّق سَوْطَه على دار فالدار وما فيها له . فعلقت سوطى، على دار ودخلتها ؛ فإذا فيها رجل وامرأة ، وابنان لهما ، فقدّمت الرجل فقتلته !

ثم قلت للمرأة : هاتى ماعندك ، وإلا ألحقت ابنيك به !

فجاءتنى بسبعة دنانير ومُتَيِّع (٢) .

قال : فقلت : هاتى ماعندك .

فقالت : ماعندى غيرها !

فقدّمْتُ أحد ابنيها فقتلته !

ثم قلت : هاتى ماعندك ، وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأت الجَدّ منى قالت :

(*) أمالى الزجاج .

(١) متاع قليل .

ارفق ، فإن عندى شيئاً كان أَوْدَعَنِيه أبوهما ، فجاءتنى بعلبة مذهبة لم أر مثلها فى حسنها ! ،

فجعلت أقلبها فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جـــار الأميـــر وحاجبـــاه ... وقـاضى الأرضِ أسرف فى القضاء
فويـــل ثم وَيْـــلٌ ثم وَيْـــلٌ ... لقـاضى الأرض من قاضى السمـاء !

* عبقرية فريدة !

عندما هبط المسلمون على مشارف مكة ، ونزلوا عند الحديبية على بعد أميال من مكة وفى قلوبهم ذلك الأمل الحلو أن يطوفوا بالبيت العتيق رأوا ناقة الرسول تبرك ، وسمعوا رسول الله ﷺ يقول : «**لقد حبسها حابس الفيل عن مكة**»

وراحوا يفكرون : هل يمنعون من دخول البيت الحرام ؟ أيعودون مقهورين دون أن يدخلوا مكة ؟ وسمعوا نداء الرسول ﷺ «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» ولكن كيف يعودون بلا طواف ولا سعى ولا عمرة ؟!

إن الأمل الحلو مازال يداعب أفئدتهم .. ورسول الله ﷺ يأمرهم أن يتحللوا من إحرامهم والمسلمون لم يحركوا ساكناً ! وهنا يدخل الرسول ﷺ على زوجه أم المؤمنين أم سلمة وذكر لها مالقى من الناس «**قال لهم : قوموا فانحروا واحلقوا فوالله ما قام منهم أحد**»

وتفتق ذهنها عن عبقرية قل نظيرها فى التاريخ !

قالت : **يا نبى الله ، أتحب ذلك ؟**

اخرج ثم لاتكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك ، وتدعو حالقك فيحلقك .

إن الأمر **اللفظى** لم يحرك ساكن أحد . فليكن الأمر **العملى** هو الذى يحسم الموقف .

فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك .. نحر بُدْنَه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا ..

[حديث صحيح وهو من تمام قصة الحديبية عند البخارى وأحمد]

فياله من درس تربوى خالد فقهناه من أم سلمة رضى الله عنها خِرّيجة بيت النبوة عن دور القدوة العملية فى التربية .

* المرأة التى قالت فأسمعت !

خَوْلة بنت ثعلبة .. تخلى عنها زوجها أوس بن الصامت بعد أن كبرت سنها وانقطع ولدها !!

لقد حرّمها على نفسه كحرمة أمّه عليه فقال لها ذات يوم :

«أنـــت عَـــلىّ كظـــهر أُمِّـــى»

فراحت تشكو إلى الله ورسوله بعد أن ضاقت الدنيا فى وجهها !!

وعرضت قضيتها أبلغ عرض فقالت :

«يارسول الله ، أكل مالى ، وأفنى شبابى ، ونثرتُ له بطنى ، حتى إذا كَبِر سِنّى ، وانقطع ولدى ظاهَر مِنّى ! (أى حرّمنى عليه قائلاً : أنت علىّ كظهر أمى) اللّهم إنى أشكو إليك !!»

وتقول السيدة عائشة راوية الحديث :

فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات :

﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير﴾ [أول المجادلة] [أبو حاتم عن الأعمش]

* ما أرى ربّك إلا يسارع فى هواك !!

فى الصحيحين عن عدوةَ قال :

كانت خولة بنتُ حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبى ﷺ !

فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ :

أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟!

فلما نزلت الآية :

﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك [1] .. ﴾

قلت : يارسول الله ، «ما أرى ربّك إلا يسارع فى هواك» .

* شاعرة تفوق الرجال

حكى عن النابغة الذّبيانى أنه كانت تقام له قبة بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه «حسان بن ثابت» ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها :

قَذًى بعينيك أم بالعين عُوّارُ ... أمْ ذَرّفَتْ إذْ خَلت من أهلها الدارُ [2]

حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخراً لتأتَمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ [3]

وإن صخرا لمولانا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نَشْتُو لنحّارُ [4]

فقال :

لولا أن الأعشى أنشدنى قبلك ، لقلت :

إنك أشعر النـاس !

أنتِ والله ـ أشعر من كلٍّ أنثى !

قالت : ـ والله ـ ومن كلّ رجل !

---

(١) وقبلها الآية ﴿يأيها النبى إنا أحللنا أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ إلى قوله : ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [٥٠ ـ ٥١ الأحزاب]

(٢) عُوّار : كل ما أصاب العين بعلة . وذَرّفت : قطرت . وهى تتساءل عن سر تلك الدموع فى العينين .. ألعلة هو ؟ أم لخلو الدار من الأهل !

(٣) العلم : الجبل . (٤) صخر أخوها لأبيها وكان بها رحيماً وعليها عطوفاً ، ويقال : شتا القوم : أجدبوا فى الشتاء . وعندئذ يتجلى كرم صخر حيث ينحر ويقدم الطعام فى المحن .

فقـال حسّـان :

أنـا ـ والله ـ أشـعر منـك ومنهـا .

قال : حيث تقـول ماذا ؟

قال : حيث أقول :

لنـا الجفنَاتُ الغُـرّ يلمعْن بالضّحَـا وأسـيافُنـا يَقْطُـرْن من نَجدةٍ دَمَـا

ولدْنـا بَنِى العنقاءِ وابنى مُحَـرّق فأكـرِمْ بنا خـالاً وأكـرِمْ بِنـا ابنَمَـا

فقال : إنك شاعر لولا أنك قلت : «الجفنات» : فقلّلت العدد .

ولو قلت : الجِفان لكان أكثر .

وقلت : «يلمعْن فى الضحا» .

ولو قلت : «يبرقن بالدّجى» لكان أبلغ فى المديح . لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً .

وقلت : «يقطرن من نجدةٍ دماً» ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : «يجرين» لكان أكثر لانصباب الدم .

وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فقام حَسّان منكسراً منقطعاً !

* الموت ولا المعصية !

كان أحد التجار فى منزله ذات ليلة ، فقُرع الباب ، وإذا بشابة جميلة تشكو إليه جوعها ، فحادثها ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت :

المـوت جوعـا .. ولا معصيـة ربـى !

ثم رجعت من حيث أتت .

وبعد أيام عادت وتوسلت إلى أن أساعدها ، وأطعمها لوجه الله ، فقلت : لا إلا أن تمكنينى من نفسك ، فقالت :

الموت خير من عذاب الله .. وخرجت وهى تقول :

أيـنا واحـداً شَـمِلَ الخَلْقَـا بسَـمْعِك ما أشكو .. بعينِك ما أَلْقى

لقد صدمتنى شدة وخصاصةٌ ... ونازلنى ما بعضه يمنع النُّطْقَا [1]
كأنىَ ظمآن تَرَى الماءَ عينُه ... فلا غُلّة تُروَى ، ولا شربةٌ تُسْقَى
تُنَازِعُنِى نَفْسى إلى نيلِ أكلةٍ ... لذاتُها تَفنىَ وغُصّتُها تَبْقَى
أأعصيك بعد الفضلِ والجوعِ والهُدَى ... وكيفَ وبالطاعاتِ أَسْتَجْلبُ الرِّزقا؟!
سأُتْلِفُهَا فى نيلِ حُبّك سيّدى ... عساىَ بها أَسْتَوْجِبُ القربَ والعِتْقَا!

فجزع التاجر لما سمع من قولها ، وقال لها : عودى وكلى ما شئت من الطعام فى أمان الله !

فقالت : اللهم كما أنرت قلبه ، وهديت لبه ، فأجب دعاءه ، ولا ترده خائباً ؛ فكان ما دعت به ، وملأ الله قلبه بالإيمان ، فتزوجها وعاشا فى أمان !

* أُرَيْنب أجمل نساء زمانها
قصة الوفاء العظيم

كان معاوية بن أبى سفيان ، واسع الحيلة عظيم الدهاء . ومن ذلك ، حيلته فى قصة أرينب بنت إسحق ، زوج عبد الله بن سلام القرشى . وكان عبد الله والياً لمعاوية على بلاد العراق ، وكانت أرينب من أجمل نساء زمانها، وأحسنهن أدباً ، وأرفعهن منزلة وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها وما هى عليه من الأدب وحسن الخَلْق والخُلُق ، فَفُتِنَ بها ، فلما عِيلَ صبره ، خصَّ بسره خصيصاً بمعاوية ، اسمه رفيف ، فذكر ذلك رفيف لمعاوية ، وذكر شدة شغف يزيد بها ، وأنه ضاق ذرعا بأمرها ، فبعث معاوية إلى يزيد ، فاستفسره أمره ، فبث له شأنه . فقال له معاوية : مهلا يايزيد ، قال يزيد : علام المهل ، وقد انقطع منها الأمل ؟ قال له معاوية : فأين حِجاك ومروءتك ؟ فقال يزيد : قد عيل الحِجى ونفد الصبر ، ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به[2]. فقال معاوية : ساعدنى على أمرك بالكتمان ، فإن البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره فيك ، ولابد مما

(١) الخصاصة : الجوع . ونازلنى قاتلنى وأصابنى .
(٢) مغالطة شيطانية من يزيد ترجع إلى قصة إسرائيلية .

هو كائن . وكانت أرينب بنت إسحق ، مثلا لأهل زمانها فى جمالها و شرفها وتمام كمالها وكثرة مالها ، فأخذ معاوية فى الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه . فكتب إلى عبد الله بن سلام ــ وكان استعمله والياً على العراق ــ أن أقبل حين تنظر فى كتابى ، لأمر فيه حظك إن شاء الله ، ولا تتأخر عنه ، وأغذ السير : (أسرع) .

* قدوم عبد الله

وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء ، صاحبا رسول الله ﷺ ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أعدَّ له منزلاً حسناً ، وهيأه له ، وأنزله فيه ، وبالغ فى إكرامه . ثم قال لأبى هريرة وأبى الدرداء : إن الله قد قسم بين عباده نعما ، أوجب عليهم شكرها ، وحتَّم عليهم حفظها ، فحبانى عز وجل بأتم الشرف ، وأفضل الذكر ، وأوسع علىَّ فى رزقه ، وجعلنى راعى خَلقه ، وأمينه على بلاده ، والحاكم فى أمر عباده ، ليبلونى : أشكر أم أكفر . وأولى ما ينبغى للمرء أن يتفقده وينظر فيه ، من استرعاه الله أمره ، ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت لى ابنة ، وأريد زواجها ، والنظر فى تخيّر من يباعلها ، لعل من يكون بعدى ، يقتدى فيه بهديى ، ويتبع فيه أثرى ، فإنه قد يلى هذا الملك بعدى ، من يغلب عليه زهو الشيطان ، فيزين لهم تعطيل بناتهم ، إذ لا يرون لهن كفؤاً ولا نظيراً ، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشى ، لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه .

فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء : إن أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها ، وطلب مرضاته فيما خصّه بها منها ، لأنت ، فإنك صاحب رسول الله ﷺ ، وكاتبه وصهره . فقال معاوية : فاذكرا له ذلك عنى ، وقد جعلت لها فى نفسها شورى ، غير أنى أرجو ألا تخرج عن رأيى إن شاء الله . فخرجا من عنده ، متوجهين إلى عبد الله بن سلام القرشى ، بالذى قال لهما معاوية .

* دخول معاوية على ابنته

دخل معاوية على ابنته فقال لها : إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء ،

فعرضا عليك عبد الله بن سلام ، وزواجى إياك منه ، وحضّاك على المسارعة إلى رضائى ، فقولى لهما : عبد الله بن سلام كفء كريم ، غير أن تحته أرينب بنت إسحق ، وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء ، ولست بفاعلة حتى يفارقها .

وأما أبو الدرداء وأبو هريرة ، فإنهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام ، أعلماه بما قال معاوية ، فردّهما عبد الله إلى معاوية خاطبين عنه . فلما مثلا بين يدى معاوية ، قال لهما : إنى كنت أعلمتكما أننى جعلت لها الشورى فى نفسها ، فادخلا عليها ، وأعلماها بما رأيت لها ، فدخلا عليها ، وأعلماها بذلك . فقالت لهما كما قال لها أبوها من قبل ، فعادا إلى عبد الله بن سلام ، وأعلماه بذلك . فلما ظن أنه لا يمنعه منها إلا فراق أرينب ، أشهدهما على فراقها ، وبعثهما إليه خاطبين . فلما دخلا على معاوية ، أعلماه بطلاق أرينب . فأظهر معاوية ، كراهية ذلك ! وقال : ما استحسنت له طلاق زوجته ، ولا أحببته ، فانصرفا فى عافية ، وعودا إلينا وكتب معاوية إلى ابنه يزيد بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب بنت إسحق .

* الشيخان يخطبان

عاد أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية ، فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ، وهو يقول : لم يكن لى أن أُكرِهَها ، وقد جعلت لها الشورى فى نفسها ،فدخلا عليها ، وأعلماها بطلاق أُرينب ، ليسراها بذلك ، وذكرا شرفه وكرمه ومروءتَه وكريمَ مَحتِده . فقالت لهما : جفّ القلمُ بما هو كائن ، وإنه فى قريش لَرفيعُ القَدْر ، وقد تعرفان أن الزواج ، جِدُّه جِد ، وهزله جِدّ كذلك ، والأناة فى الأمور أوفق ، لما يخاف فيها من المحذور ، فإن الأمور إذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها ، كان المرء بحسن العزاء خليقاً ، وبالصبر عليها حقيقاً . وإنى سائلة عنه ، حتى أعرف دخيلة خبره ، ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره ، وإن كنت أعلم أن لا اختيار لأحد فيما هو كائن ، ومعلمتكما بالذى يرينيه الله فى أمره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقالا لها :

وفقك الله وخار لك . فلما أعلما عبد الله بقولها ، أنشأ يقول :

فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظـــره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبد الله بن سلام امرأته ، وخطبته ابنة معاوية ، وقالوا : لقد طلق حتى يفرغ من طلبته ، ويتحقق له الذى كان من بغيته ؟ واستحث عبد الله ، أبا هريرة وأبا الدرداء ، فأتياها وقالا لها : اصنعى ما أنتِ صانعة . واستخيرى الله ، فإنه يُهدى من استهداه . قالت : أرجو : والحمد لله أن يكون قد خار ، فإنه سبحانه لا يكل إلى غيره من توكل عليه . وقد سبرت أمره ، وسألت عنه ، فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فمنهم الناهى عنه ، والآمر به . واختلافهم أقل ما كرهت .

* الآن عرفت

فلما بلغه كلامها ، علم أنها حيلة ، وأنه مخدوع ، وقال متعزياً : ليس لأمر الله راد ، ولا لما لابد منه صاد . فإن المرء وإن كمل له حلمه ، واجتمع له عقله ، واشتد رأيه ، ليس بدافع عن نفسه قدراً برأى ولا بكيد . ولعل ما سُروا به ، لا يدوم لهم سروره ، ولا يُصرف عنهم محذوره .

* أبو الدرداء يخطبها ليزيد

وذاع أمر ذلك وفشا فى الناس ، وقالوا : خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه ، لبئس ما صنع ! فلما بلغ ذلك معاوية ، قال : لعمرى ما خدعته . فلما انقضت أيامها (عدّتها) وجّه معاوية أبا الدرداء إلى العراق ، خاطبا لها على ابنه يزيد . فخرج حتى قدمها ، وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب ، فقال أبو الدرداء : ما ينبغى لذى النُّهَى ، أن يبدأ بشىء ويؤثره على مُهمِّ أموره قبل زيارة الحسين ، سيد شباب أهل الجنة ، إذا دخل موضعاً هو فيه . فإذا أديت حقه والتسليم عليه ، انقلبت إلى ما جئت من أجله ـــ فقصد الحسين . فلما رآه الحسين ، قام إليه وصافحه ، إجلالا لصحبته من جده

ﷺ ، ولموضعه من الإسلام ، وقال له : ما أتى بك يا أبا الدرداء ؟ قال : وجهنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد ، أرينب بنت إسحق ، فرأيت عَلىَّ حقاً ، ألا أبدأ بشيء قبل السلام عليك ، فشكر له الحسين ذلك ، وأثنى عليه .

* الحسين يخطبها ويخيّرها

قال الحسين لأبى الدرداء : لقد كنت رغبت فى زواجها منى ، وأردت الإرسال إليها ، إذا انقضت أيامها ، ولم يمنعنى من ذلك إلا تخيُّر مثلك ، فقد أتى الله بك ، فاخطب رحمك الله علىَّ وعلى يزيد ، ولتخيّر من اختاره الله لها ، وهى أمانة فى عنقك ، حتى تؤديها إليها ، وأعطها من المهر ، مثل ما بذل لها معاوية على ابنه يزيد . فقال : أفعل إن شاء الله . فلما دخل عليها ، قال : أيتها المرأة ، إن الله خلق الأمور بقدرته ، وكونها بعزته ، فجعل لكل أمر قدراً ، ولكل قدر سبباً . وليس لأحد عن قدر الله مستخلص ، ولا للخروج عن علمه مستأنس . فكان ما سبق لك ، وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله ابن سلام إياكِ . ولعل ذلك لا يضرك ، ويجعل الله لك فيه خيراً كثيراً . وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها ، وولى عهده ، والخليفة من بعده : يزيد ابن معاوية ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ ، وابن أول من أقرَّ به من أمته ؛ وسيد شباب أهل الجنة . وقد بلغك سنامهما وفضلهما ، وجئتك خاطباً عليهما ، فاختارى أيهما شئت لنفسك .

* فسد التدبير

سكتت أرينب طويلا ، ثم قالت : يا أبا الدرداء ، لو أن هذا الأمر جاءنى وأنت غائب ، لأشخصت فيه الرسل إليك ، وأتبعت فيه رأيك ، ولم أقطع فيه برأى دونك . فأما إذ كنت المرسل فيه ، فقد فوضّت أمرى بعد الله عليك وجعلته فى يديك ، فاختر لى أرضاهما لديك ، والله شاهد عليك ، فاقض فى حقى بالتحرى ، ولا يصدّنك عن ذلك اتباع الهوى ، فليس أمرهما خفياً ، ولا أنت عما طوقتك غبياً . قال أبو الدرداء : إنما علىّ إعلامك ، وعليك الاختيار لنفسك . قالت : عفا الله عنك ، إنما أنا ابنة أخيك ، ومن لا غنى به عنك ،

فلا تمنعك رهبة أحدٍ من قول الحق فيما طوّقتك ، وقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك . والله خير من روعى وخيف ، إنه بنا خبير لطيف . فلما لم يجد بداً من القول والمشورة ، قال : أى بنية ، ابن بنت رسول الله أحب إلىَّ لك ، وأرضى عندى ، والله أعلم بخيرهما لك . وقد رأيت رسول الله ﷺ واضعاً شفتيه على شفتى الحسين ، فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله ﷺ شفتيه . قالت : قد اخترته ورضيته . فتزوجها الحسين بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، وساق لها مهراً عظيما . وبلغ معاوية ما كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك وزواج الحسين إياها ، فتعاظمه جداً ، ولامه شديداً وقال : مَنْ يُرسِلُ ذَابَلَهٍ وعَمَّى ، يَركبُ خلافَ ما يَهْوَى .

وكان عبد الله بن سلام ، قد استودع أرينب بنت إسحٰق ، قبل فراقه إياها ، مالا كثيراً كان عنده . وكان معاوية قد قطع عنه جميع روافده ، لسوء قوله فيه ، وتهمته إياه بأنه خدعه ؛ فلم يزل يجفوه حتى عِيل صبره ، وقلّ ما فى يديه من مال ، ولام نفسه على المقام لديه ، فرجع إلى العراق وهو يذكر ماله الذى استودعها إياه ، ولا يدرى كيف يصنع ، وكيف يصل إليه ؛ وهو يتوقع جحودها ، لسوء فعله بها ، وطلاقه إياها ، على غير شىء كان منها ، فلما قدم العراق ، لقى حسيناً ، فسلم عليه ؛ ثم قال له : قد عرفت ما كان من خبرى وخبر أرينب ،وكنت قبل فراق إياها ، قد استودعتها مالا عظيما ، وكان الذى كان ولم أقبضه ؛ ووالله ما أنكرت منها فى طول صحبتها فتيلا ، ولا أظن بها إلا جميلا ؛ فذاكرها فى أمرى ، واحضضها على رد مالى ، فإن الله يحسن به ذكرك ، ويجزل به أجرك ؛ فسكت عنه ، فلما انصرف الحسين إلى أهله قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، وهو يحسن الثناء عليك فى دينك وحسن صحبتك ، فسرنى ذلك وأعجبنى ، وذكر أنه استودعك مالا ؛ فقالت : صدق ، استودعنى مالا لا أدرى ما هو ، وإنه لمطبوع عليه بخاتمه ، ما حُوِّل منه شىء إلى يومه ، وهاهو ذا فادفعه إليه بطابعه ! فأثنى عليها الحسين خيراً وقال : ألا أدخله عليك ، حتى تبرئى إليه منه ، كما دفعه إليك ؟

* قد كان ماهو كائن

ثم لقى عبد الله بن سلام . فقال له الحسين : ما أنكرتْ مالك ، وزعمت أنه كما دفعته إليها بطابعك ، فادخل ياهذا إليها ، واستوف مالك منها . قال عبد الله بن سلام : أو ما تأمر مَن يدفعه إلىّ ؟ قال : لا ، حتى تقبضه منها كما دفعته إليها ، وتبريها منه إذا هى أدَّته إليك ! فلما دخل عليها ؛ قال لها الحسين : هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته ، فأدى إليه أمانته ؛ فأخرجت إليه ذلك المال ، ووضعته بين يديه ، وقالت : هذا مالك ؛ فشكر وأثنى . وخرج الحسين عنهما . فَفَضَّ عبد الله خواتم ماله ، وحثا لها منه جانباً كبيراً ، وقال : خذى ، فهذا قليل منى ؛ فاستعبرا جميعاً ، حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفاً على ما ابتليا به . فدخل الحسين عليهما ـــ وقد رقَّ للذى سمع منهما ـــ فقال : أشهد الله أنها طالق ثلاثاً ، اللهم إنك تعلم أنى لم أتزوجها رغبة فى مالها ولا فى جمالها ، ولكنى أردت إحلالها لبعلها ؛ فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق إليها فى مهرها ، فسألها عبد الله أن تصرف إلى الحسين ما كان قد ساقه إليها ، فأجابته إلى ذلك شكراً لما صنع بهما ، فلم يقبله الحسين ، وقال : الذى أرجوه من الثواب خير لى . فلما انقضت عدتها ، تزوجها عبد الله بن سلام ، وعادا إلى ما كان عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما ، وحرم الله يزيد ابن معاوية منها .

* * *

أرأيت وفاء «أُرَيْنِب» العظيم ؟!

أرأيت عُلُوَّ هِمةِ الحُسَيْن ، وسُمُوّ نفسه ، ورقّةِ طبعه وانتصاره للحق ابتغاء وجه الله ؟! .

أرأيت أن الله من وراء الماكرين محيط ؟!

وأن الكيدَ والدسّ والوقيعة ترتدّ كلها إلى أصحابها ؟!

أرأيت أن الله مع المظلوم حتى يُرَدّ إليه حقه ؟!